اقليم كردستان العراق الفيدرالي
وزارة التربية

العقائد الاسلامية

للصف السادس الاعدادي

(المدارس الأسلامية)

اقليم كوردستان العراق الفدرالي
وزارة التربية

العقائد الاسلامية

للصف السادس الاعدادي
(المدارس الاسلامية)

تأليف

الدكتور رشدي عليان　　فرج توفيق الوليد

الاشراف على الطبع

جلال عمر رمضان - ابراهيم اسماعيل حسن

١٤٢٦ هـ - ٢٧٠٥ كوردي - ٢٠٠٥ م

مطبعة الشموع بغداد

تمهيد

في الايمان باليوم الآخر

ان عقيدة الايمان باليوم الآخر قد ملأت قلوب البشر منذ أقدم الازمنة وظهرت شاخصة بين الوثنيات التي ضربت اطنابها في المجتمعات المختلفة تحكي نهضة الضمير الانساني وتنبهه الى الحقيقة.

والراجح البين ان هذه العقيدة التي انتشرت بين الناس ما كانت الا تصديقا" لدعوات جاء بها انبياء سابقون ظلت بقاياها راسخة في الضمير الانساني يصقلها تتابع الرسالات السماوية وان كدرت صفوها الوثنية التي غمرت العالم حتى اليوم لاسيما وان ما يتصل باليوم الآخر لايكدره الانسان ولا يحيط بشيء منه الا بأخبار من الله تعالى عالم الغيب لانبيائه ورسله الذين يبلغون ما امروا به الى الناس(١).

ولنعرض لك عقيدة اليوم الآخر في العصور المختلفة قبل الاسلام ثم نعقب ذلك في الاسلام ثم نبين الغاية من الايمان باليوم الاخر وذلك من المطالب الثلاثة الاتية :

المطلب الاول

اليوم الآخر عند غير المسلمين

١ – عند المصريين القدماء:

يعتقد المصريون القدماء منذ ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد تقريبا" او قبل ذلك ، بحياة اخرى بعد الموت يلقى الفرد جزاءه فيها على ما فعل من خير او شر وهذه العقيدة لم تكن قاصرة على طبقة الكهنة بل تعدتهم الى الاوساط الشعبية – يقول عبدالقادر في كتابه – على هامش التاريخ المصري القديم – عن هذه الفترة :

(وفي هذا الوقت كانت عبادة –اوزريس– قد اخذت تنتشر وتصير عبادة شعبية.. وعبادة اوزريس اساسها الاول ان كل انسان ملكا" كان او فردا"

---

(١) اصول الدين الاسلامي ٣٣٤–٣٣٥.
(أقول) ويؤيده هذه الحقيقة قوله تعالى ((وإن من أمة الا خلا فيها نذير..))الآية ٢٤ – سورة فاطر.

عادياً" مسؤول بعد الموت عن اعماله في الدنيا امام محكمة الهيئة يتولى القضاء فيها اوزريس نفسه ويساعده فيها (توت) وهو إله الحكمة والعلم (وأنوبيس) وهو مدير دفن الاموات ودليلهم في الدار الاخرة و (حوريس) وهو ابن اوزريس و (ايزيس) و(معات) وهي آلهة الحقيقة والعدل واثنان واربعون قاضياً" ، فاذا حكمت المحكمة بان حسنات الميت ترجح سيئاته كوفيء بالنعيم الخالد وصار مثل اوزريس. اما اذا حكمت المحكمة بانه أساء في حياته فجزاؤه ان يفترسه الوحش او ان يلقى في النار أوان يضرب عليه نوع اخر من انواع العذاب(١).

٢- في الديانة الزرادشتية :

يرى الزرادشتيون انه عندما يموت الميت تظل الروح ثلاثة ايام وثلاث ليال معلقة الى جانب الجسم ، منعمة بنعيمه اومعذبة بعذابه ، وفي فجر اليوم الرابع تهب عليها ريح اما عطرة اذا كان الميت خيراً" واما نتنة اذا كان شريراً" ، فتحملها الى موضع يلتقي فيه اما بفتاة جميلة واما بعجوز مفزعة ، وليست الاولى فتاة حقيقية ولا الثانية عجوزاً" حقيقية وانما هي صورة اعمال الميت ، وهي ضميره الذي يقوده الى حيث معبر الحساب والحكم الاخير وهناك يوجد على بابه ثلاثة قضاة بينهم - ميتهرا - وهناك ينصب ميزان توضع في احدى كفتيه حسنات الميت وفي الاخرى سيئاته ، وبناء على صعود احدى الكفتين او هبوطها يصدر الحكم على مصير هذا الميت.

وعلى اثر انتهاء الوزن وصدور الحكم يؤمر المحاسب بالمرور فوق هذا المعبر او الصراط الممتد فوق الجحيم الذي يتسع امام الاخيار ويضيق حتى يكون ادق من الشعرة وأحد من السيف امام الاشرار فهؤلاء الاخيرون يهوون في جحيم مظلم ظلاماً" كثيفاً" الى حدٍ يستطاع معه لمسه باليد. فاذا هووا في الجحيم كانوا متزاحمين كانهم كمية من الشعر في معرفة حصان ،

---

(١) عن اصول الدين الاسلامي ٣٤٧-٣٤٨ وفيه ان كتاب الموتى - وجد في ايام الدولة الوسطى - وكان له شأن كبير اذ زعموا ان احد الالهة قد كتبه بيده فكانوا يتعبدون به في الحياة ويوضع معهم في القبور.
انظر الأديان د. رشدي عليان ٦٠ ومقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. طه باقر ١٠٠/٩٦/٢.

ومع ذلك فكل واحد منهم يشعر في وسط هذا الزحام بوحدة قاسية وعزلة محضة.

اما الاخيار فيذهبون الى النور حيث يستقبلهم -اهورا مازدا- وهو اله الخير خالق الكون وحافظه من الفساد الذي يحاوله اله الشر - اهريمان- بعد ان يمروا في وسط العمل الصالح والقول الخير والفكرة الطيبة ، وهنا يستمتعون في كنف (مازدا) بالسعادة الابدية(١).

٣- عند الاغريق القدماء :

ظهرت عقيدة الايمان باليوم الاخر في اوديسة هوميروس الذي عاش حوالي القرن التاسع قبل الميلاد والغالب انها كانت موجودة قبل هوميروس فضمنها ملحمته(٢).

والشاعر - بندار - في القرن الخامس قبل الميلاد يقول في قصيدته الاولمبية الثانية :

سيجد العظماء في الارض قاضيا" في الجحيم فالذين ارتكبوا منهم اعمالا" محرمة تحاكمهم الالهة -انانكي-(٣).

ويقول افلاطون (المولود بين سنتي ٤٢٩-٤٢٧ ق.م) فاذا جاء الاموات امام قاضيهم دعاهم (رادامانت) وهو اخو مينوس الى القرب منه ثم فحص روح كل واحد منهم من غير ان يعرف لمن هي ... فاذا وجدها مملوءة فسادا" وخبثا" وكانت قد عاشت بعيدا" عن **الحقيقة بعث بها الى السجن لتتلقى فيها العقاب الذي تستحقه و (رادامانت) يرسل المحكوم عليه الى قاع الجحيم بعد ان يسمهم بميسم تبعا" لقابلياتهم او عدم قابلياتهم للتطهير ، اما الروح الذي يرى انه عاش في الطهر وفي الحقيقة فانه يبتهج به ويرسله الى الجزائر السعيدة(٤).**

---

(١) **اصول الدين الاسلامي** ٣٥١ عن **مشاهد القيامة في القرآن** ١٩ ، ٢٠ مشيرا" الى **كتاب الفلسفة الشرقية للدكتور** محمد غلاب. وانظر الاديان ١٢٩ وفي **العقائد** والاديان **للدكتور. جابر عبدالعال** ١٦٣ وقصة الديانات لسليمان مظهر ٣١٤.

(٢) **انظر اصول الدين** الاسلامي ٣٥١-٣٥٢ وفيه طرف مما ذكره هوميروس على لسان - عوليس - بطل الاوديسة وانظر مشاهد القيامة في القرآن ٢١-٣٢ عن كتاب الاوديسة للاستاذ دريني خشبة.

(٣) اصول الدين الاسلامي ٣٥٢ عن مشاهد القيامة ٢٧-٢٨ نقلا" عن (موري) ترجمة المرحوم عبدالقادر حمزة .

(٤) المصادر السابقة

٤- عند الرومان :

ذكر الشاعر فرجيل شاعر الرومان الاكبر (٧٠-١٩) ق.م صور الحساب في ملحمته الانياذة حيث يقول:

ايناس بطل الملحمة يذهب الى العالم السفلي للالتقاء بروح ابيه (انشير) لاستفتائها في مستقبل ذريته ويهبط مع كاهنة تقوده الى منازل الموتى وقد امتلأت اشباحا" وارواحا" ويعبران نهر (ستكس) وهو نهر في الجحيم مليء بالحيات والحيوانات المخيفة ومرا في عالم كله يأس وقنوط واخيرا" لقى اباه فأنبأه بما قد كتب لسلالته من مجد وفخار(١).

٥- عند الصابئة :

يعتقد الصابئة المندائيون ان الموت انتقال من العالم المادي الذي هو بمثابة سجن ومنفى مؤقت للروح الى العالم الروحي وتخلد هناك فتحاسب حسابا" عسيرا" بان توزن اعمال صاحبها فان رجحت حسناته فان روحه تذهب الى عالم الانوار (الجنة) فتتنعم كالقديسين والروحانيين وان رجحت سيئاته فان روحه تقاد الى المطر (المطرانة) في عالم الظلام ، (النار) حيث تعذب فيه بدرجات متفاوتة الى ان تتطهر من ذنوبها ثم ترسل الى عالم الانوار(٢).

٦- عند اليهود :

في دائرة المعارف العبرية يقرر كوهلر ان اليهودية ليست عقيدة او نظاما" من العقائد يتوقف على قبولها الفداء او الخلاص في المستقبل ولكنها نظام للسلوك البشري وناموس للبر الذي يتحتم على الانسان اتباعه في الدنيا.

ولذلك لم يتكلم اليهود في كتبهم عن الاخرة ، لكن بعد اختلاط اليهود بالفرس ، درس اليهود عقائد زرادشت واقتبسوا منها الاعتقاد بالحياة الاخرة.

وفي هذا الوقت بدأ الانبياء اشعيا.ودانيال كما في سفر دانيال يذكرون الناس بيوم البعث والحساب والجزاء(٣).

---

(١) اصول الدين الاسلامي ٣٥٣ عن مشاهد القيامة ٢٨ نقلا" عن قصة الادب في العالم لاحمد امين وعن اساطير(الحب والجمال عند الاغريق) لدريني خشبة.
(٢) اصول الدين الاسلامي ٣٥٤ الاديان ١٨٧ الصابئون حرانيين ومندائيين.
(٣) اصول الدين الاسلامي ٣٥٥ .

٧- عند النصارى :

يعتقد النصارى باليوم الاخر وبعث الاموات من القبور والحساب ، على ما قدم الانسان من عمل في الحياة الدنيا لكنهم يقولون بان المحاسب هو السيد المسيح (عليه السلام) وان الجنة جزاء من يعمل الخير ، والنار جزاء من يعمل الشر(١).

وهكذا - ومن خلال هذا العرض الموجز - نرى هؤلاء جميعا" يؤمنون - باليوم الاخر - على اختلاف في كيفية ذلك اليوم تحقيقا" لمجازاة المحسن باحسانه والمسيء باساءته ممن قد فاته ذلك في الحياة الدنيا(٢).

المطلب الثاني
اليوم الآخر عند المسلمين

١- تعريف باليوم الاخر :

يمكننا تعريفه بانه اليوم الذي يمر به الميت في الاحوال المختلفة من نفخة الصور الى الاستقرار في الجنة او النار. وما بينهما مما يجب الايمان به وما سيأتي بيانه وتفصيله(٣).

---

(١) اصول الدين الاسلامي ٣٥٦-٣٥٧ عن محاضرات في النصرانية ابو زهرة ١٠٥ و ١٠٧.

(٢) هناك من لم يعتقد باليوم الاخر ولا الحساب بعد الموت. ورغم ذلك جزم بعدم المساواة بين المحسن والمسيء. وانه لابد ان يثاب الاول ويعاقب الثاني في هذه الدنيا .. تحقيقا" للعدل.

(أ) ففي حضارة وادي الرافدين - يقولون ارتكاب اي خطيئة ينجم عنه اضرار جسيمة تتجلى في امرين :
١- تخلي الالهة عنه فيقع فريسة للمصائب والامراض وفقد الهناء.
٢- تقصر اجل الحياة واحلال الموت. انظر اصول الدين الاسلامي ٣٤٤-٣٤٧.

(ب) والهندوس لايعتقدون بالاخرة كذلك - بل يعتقدون بالكارما اي قانون الجزاء ويعني ان جميع اعمال البشر خيرا" او شرا" يجازى عليها في الدنيا بناء على ناموس العدل الصارم ولكنهم حينما رأوا خلاف ذلك في بعض الاحوال لجأوا الى القول بالتناسخ وقد يكون اكثر من مرة فتعود الروح في جسم آخر في هذه الحياة الى ان يستكمل الشهوات وتستوفي الديون فان اكتملت نجت روحه وتخلصت من التناسخ وامتزجت بالبراهما أ هـ بتصرف انظر اصول الدين الاسلامي ٣٥٣-٣٥٤.

(٣) هذا التعريف مقتبس من الاحياء ٥١١/٤ (الشطر الثاني) ، والجوهرة ص ١٤١.

٢ - حكم الايمان باليوم الاخر :

قال علماء المسلمين ان الايمان باليوم الاخر - ركن من اركان الايمان يكفر جاحده (١). ومما يدل على اهمية الايمان به قرنه بالايمان بالله تعالى في كثير من الايات منها :-

قوله تعالى :

﴿انَّ الذينَ آمنوا والذينَ هَادوا والنَصارى والصابئين مَنْ آمَنَ باللـه واليوم الاخر وعَمل صالحا" فلهُم اجرهم عند ربِّهم﴾(١).

وقوله تعالى :

﴿ولكنَّ البرَّ من آمنَ باللهِ واليومِ الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾(٢).

وقوله تعالى :

﴿ومنَ النـاسِ مـن يـقـولُ آمنـا بـاللـهِ واليـوم الآخـر ومـا هـم بمؤمنينَ﴾(٣)(٤).

المطلب الثالث
غاية الايمان باليوم الآخر

ان الايمان باليوم الاخر يجعل رقابة المرء على نفسه مستديمة ويوفر السكينة والطمأنينة في القلوب فيشعر المؤمن بان الدنيا متاع الغرور ، فيزهد فيها ولايتكالب عليها ليستأثر بما يريد ، وان أضر بمصلحة الاخرين ، فعندئذ تكون غاية الحياة سامية وهدفها رفيعا" ، وهو عمل الخير وترك المنكر والتحلي بكل فضيلة والتخلي عن كل رذيلة(٥).

---

(١) اصول الدين الاسلامي ٣٥٨ رسالة التوحيد ٩٨.
(٢) سورة البقرة ٦٢.
(٣) سورة البقرة ١٧٧.
(٤) سورة البقرة ٨.
(٥) اصول الدين الاسلامي ٣٦٠.
(٦) رسالة في التوحيد ٩٨ اصول الدين الاسلامي ٣٤٠ ، ٣٤١ وانظر ٣٤٢ في اهمية رقابة المرء على نفسه وأثرها في السلوك واقامة المباديء الاخلاقية.

وهذا هو جزء من العبادة التي هي تكليف وامتحان يميز به الله الخبيث من الطيب ، وركن من اركانها والعبادة غاية الخلق كما قال تعالى :

﴿وما خلقتُ الجنَّ والانسَ الا ليعبدونِ ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون إنَّ اللّه هو الرزاق ذو القوة المتين﴾(٦).

(٦) سورة الذاريات ٥٦. وانظر اصول الدين الاسلامي ٣٣٩.

المبحث الاول

الموت وبقاء الروح

١- تعريف الموت :

الموت : هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقة وحيلولة بينهما وتبدل حال بحال وانتقال من دار الى دار(١).

والروح : جسم لطيف شفاف حي لذاته مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر. وعند مفارقته الجسد ينقطع تصرفه ، فان الاعضاء الات للروح تستعملها حسب مشيئتها(٢).

ولذلك قال الامام الغزالي : (الموت معناه تغير حال فقط. وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها)(٣).

٢- بقاء الروح وادراكها بعد الموت :

ذهب العلماء الى بقاء الروح سعيدة كانت ام شقية وانها تدرك وتسمع واستدلوا بالقرآن والاحاديث :

أما الايات فمنها قوله تعالى :

﴿ولا تحسبنَّ الذينَ قُتلوا في سبيلِ اللّه امواتا" بَلْ أحياءٌ عندَ ربِّهم يُرزقونَ فرحينَ بما آتاهم اللّه من فضلِهِ ويستبشرونَ بالذينَ لم يلْحقوا بهم من خلفِهم الا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنونَ﴾(٤).

فهذه الآية نص في حياة الشهداء كما يقول الامام الغزالي وغيره(٥).

ومنها قوله تعالى :

---

(١) رسالة التوحيد ٩٩.

(٢) رسالة التوحيد ١٠٠.

(٣) الاحياء ٤/٤٩٣-٤٩٤ بتصرف وفيه تعريفات للموت قالها الملاحدة والذين يؤمنون ببعث الارواح دون الاجساد والذين لايقولون بعذاب القبر ونعيمه. فراجعه ان شئت وانظر ايضا" اصول الدين الاسلامي ٣٦٤ وفيه ان بعضهم عرف الموت بتوقف القلب عن النبض. وبعضهم قال بانه موت خلايا الدماغ. واخفاق هذه التعاريف واضح.

(٤) سورة آل عمران ١٧٠.

(٥) الاحياء /٤٩٥ الغنية ٦٩/١ الجوهرة ١٣٣ و ١٤٨.

﴿النارَ يُعرضونَ عَلَيها غدوا وَعشيا﴾(١)

قال البيضاوي في الآية دليل على بقاء النفس وعذاب القبر(٢).

واما الاحاديث فكثيرة منها :

انه لما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله (ﷺ) فقال : يا فلان يا فلان يا فلان، قد وجدت ما وعدني ربي حقا" ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا"؟ فقيل يا رسول الله أتناديهم وهم أموات ؟ فقال (ﷺ) والذي نفسي بيده إنهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لايقدرون على الجواب(٣). قال الامام الغزالي : فهذا الحديث نص في روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفتها(٤).

وقال ابو سعيد الخدري – سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره (٥).

وقال عبدالله بن عبيد بن عمير في جنازة – بلغني ان رسول الله(ﷺ) – قال : ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء الا قبره ويقول ويحك ابن آدم اليس قد حذرتني وحذرت ضيفي ونتني وهو لي ودودي فما اعددت لي(٦).

وروى ابو ايوب الانصاري عن النبي (ﷺ) انه قال: ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ، ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة؟ فاذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلي قالوا – انا لله وانا اليه راجعون – ذهب به الى امه الهاوية (٧). والاثار في ذلك اكثر من ان تحصر.

---

(١) سورة غافر ٤٦.
(٢) انوار التنزيل ٢٦٩/٢.
(٣) الاحياء ٤٩٥/٤ المغني عن حمل الاسفار ٤٩٥/٤ وفيه الحديث اخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب أ هـ.
(٤) الاحياء ٤٩٥/٤
(٥) الاحياء ٤٩٧/٤ المغني عن حمل الاسفار ٤٩٧/٤ وفيه الحديث رواه احمد.
(٦) الاحياء ٤٩٩/٤ المغني عن حمل الاسفار ٤٩٩/٤ وفيه الحديث اخرجه ابن ابي الدنيا في القبور هكذا رواه مرسلا" ورجاله ثقات.
(٧) الاحياء ٤٩٨/٤ المغني عن حمل الاسفار ٤٩٨/٤ ورواه ابن المبارك في الزهد موقوفا" على أبي أيوب باسناد جيد ورفعه ابن صاعد في زوائده على الزهد وفيه سلام الطويل ضعيف وهو عند النسائي وابن حبان ونحوه من حديث أبي هريرة باسناد جيد أ.هـ

المبحث الثاني

القبر اول منزل من منازل الاخرة

سؤال القبر :

سؤال القبر ثابت عند جمهور المسلمين(١).

واستدلوا بالكتاب والسنة والآثار :

اما الكتاب فقوله تعالى :

﴿يُثَبِّتُ اللّه الذينَ آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾(٢).

قالوا هي في سؤال القبر(٣).

روي عن البراء بن عازب (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال : المسلم اذا سئل في القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا" رسول الله ، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ متفق عليه(٤).

واما السنة فأحاديث كثيرة :

منها – ما رواه ابو هريرة قال : قال النبي (ﷺ) اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر وللاخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي ؟ فاذا كان مؤمنا" قال هو عبدالله ورسوله أشهد ان لا إله الا الله وان محمدا" رسول الله ؛ فيقولان : انا كنا لنعلم انك تقول ذلك ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا" وينور له في قبره ، ثم يقال له نم فيقول دعوني ارجع الى

---

(١) البخاري ١١٦/٢-١١٨ سبل السلام ١١٢/٢-١١٣ الجامع الصغير ١١٦/١ الشبانية ٣٦ المدخل في فقه القرآن ٢٣١ الغنية ٦٦/١ الجوهرة ١٣٥ شرح على القارىء ٥٣-٥٤.

(٢) سورة ابراهيم ٢٧.

(٣) الغنية ٦٦/١-٦٧ انوار التنزيل ٤٣٨/١ الكشاف ٣٠٢/٢ الاحياء ٤٩٩/٤ اصول الدين الاسلامي ٣٦٩.

(٤) دليل الفالحين ٦٥/٤ وفيه – رواه البخاري في التفسير ورواه مسلم في صفة اهل النار ورواه النسائي في الجنائز أ هـ وانظر في سؤال القبر ايضا دليل الفالحين ٣٤٨/٥-٣٥٢ و ٣٣/٦ و ١٠٢.

اهلي فاخبرهم ، فيقال نم فينام كنومة العروس الذي لايوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وان كان منافقا" قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا" وكنت اقوله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمي عليه حتى تختلف اضلاعه فلايزال معذبا" حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك(١). وان كان منافقا" قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا" وكنت اقوله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التفي عليه حتى تختلف اضلاعه فلا يزال معذبا" حتى يبعثه الله مضجعه ذلك .

ومنها – ما رواه البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله(ﷺ) في جنازة رجل من الانصار ، فجلس رسول الله (ﷺ) على قبره منكسا" رأسه ثم قال : اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا" ثم قال: ان المؤمن اذا كان في قبل من الاخرة – بعد. الله ملائكته كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس منها باب الا يحب ان يدخل روحه منه فاذا صعد بروحه قيل : اي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فاني وعدته.﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾(٢) وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال ياهذا من ربك ومن نبيك وما دينك؟ فيقول ربي الله ودييني الاسلام ونبيي محمد (ﷺ) ، قال: فينتهرانه انتهارا" شديدا وهي آخر فرصة تعرض على الميت فاما قال ذلك نادي مناد ان قد صدقت وهي معنى قوله تعالى :

﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت**﴾(٣) ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب يقول ابشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم ، فيقول وانت فبشرك الله بخير من أنت ؟ فيقول انا عملك الصالح والله مما عصمت أن كنت لسريعا الى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا ، قال ثم

---

(١) الغنية ١/٦٧.
الاحياء ٤/٥٠٢-٥٠٢.
المغني عن حمل الاسفار ٤/٥٠٣ وفيه حديث أبي هريرة أخرجه الترمذي وحسنه ابن حبان مع اختلاف .
(٢) سورة طه ٥٥.
(٣) سورة ابراهيم ٢٧.

ينادي مناد ان افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع الى اهلي ومالي .

وروى البخاري ومسلم عن انس بن مالك (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) انه قال العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى انه ليسمع نعالهم اتاه ملكان فيقعد فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل (محمد)؟ فأما المؤمن فيقول اشهد انه عبدالله ورسوله فيقال انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا ويفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأن عليه خضرة الى يوم يبعثون . وأما الكافر أو المنافق فيقال له ماكنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول لاأدري كنت أقول مايقول الناس فيقال له : لادريت ولاتليت ، ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ويضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه(١).

وكان رسول الله (ﷺ) – اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: (استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسأل) رواه أبو داود(٢).

واما الاثار فكثيرة ، منها ما روي عن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال: اذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم واعلم ماذا أراجع به رسل ربي رواه مسلم(٣). وهكذا يظهر لك صحة القول بسؤال القبر. هذا وذهب بعض العلماء الى ان الروح ترد الى الميت عند سؤال القبر.

واستدلوا: بما في آخر حديث البراء بن عازب وبما روي عن عطاء بن يسار قال: قال رسول الله (ﷺ) لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يا عمر كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ، ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوا حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك ، فاذا انصرفوا عنك

---

(١) رسالة في التوحيد ١٠١ أصول الدين الاسلامي ٣٧٠ عن التذكرة ١١٣-١١٤و١٣٣والروح ٥٣-٥٤لوامع الانوار البهية /٥و١٣-١٤.

(٢) دليل الفالحين ١٠٢/٦.

(٣) دليل الفالحين ١٠٢/٦-١٠٣وفيه الحديث تقدم في باب الرجاء أهـ .

أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف ، وابصارهما كالبرق الخاطف ، يجران أشعارهما ويبحثان القبر بانيابهما فتلتلاك وترترانك كيف بك عند ذلك ياعمر ؟ فقال عمر: أو يكون معي مثل عقلي الان؟ قال : نعم .قال . اذن اكفيكهما(١).

قال في الغنية : وهذا دليل ونص على أن ذلك بعد اعادة الروح(٢). وقال الامام الغزالي – ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد .. الخ(٣). وهو قول كثير من العلماء(٤). وهذه تسمى بالحياة البرزخية وهي حياة تختلف(٥) عن الحياة الدنيا.

المطلب الثاني
عذاب القبر ونعيمه

ذهبت جماهير العلماء الى أن عذاب القبر لاهل المعاصي والكفر. وأن النعيم فيه حق لاهل الطاعة والايمان خلافا للمعتزلة(٦).
واستدلوا بالكتاب والسنة والاثر :

أما الكتاب – فآيات كثيرة منها قوله تعالى :

---

(١) الغنية ٦٧/١-٦٨وفيه لفظ وتلتلاك الاحياء ٥٠٣/٤ المغنى عن الاسفار ٥٠٣/٤وفيه الحديث اخرجة ابن ابي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات قال البيهقي في الاعتقاد ورويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسر مرسلا قال العراقي – ووصله ابن بطة في الابانة من حديث ابن عباس. رواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر وقال غريب بهذا الاسناد تفرد به مفضل وأحمد وابن حبان من حديث عبدالله بن عمر ايرد الينا عقولنا فقال نعم كهيئتكم اليوم فقال عمر بغية الحجر .

(٢) الغنية ٦٧/١.

(٣) الاحياء ٤٩٥/٤و١١٤/١.

(٤) الجوهرة ١٣٥ .

(٥) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ٢٥٢أصول الدين الاسلامي ٣٧٢.

(٦) الغنية /٦٦ الجوهرة ١٣٦ شرح علي القاري ٥٥ رسالة في التوحيد ١٠٢ أصول الدين الاسلامي ٣٦٨.
وفي هامشه- اثبت الجبائي من المعتزلة وابنه والبلخي عذاب القبر لكنهم نفوه عن المؤمنين واثبتوه لاصحاب التخليد من الكفار والفساق انظر الروح لابن القيم ٥٨ ولوامع الانوار البهية للسفاريني ٢٣/٢ نقلا عن الروح أهـ .

﴿النار يُعْرَضونَ عليها غـدُوا وَعشيًا ويومَ تقومُ الساعة ادْخِلوا آل فرعونَ أشدَّ العذابِ﴾(١).

فالمراد به (غدوا" وعشيا") عذاب القبر قبل يوم القيامة(٢).

واما السنة فاستدلوا بالاضافة الى حديثي ابي هريرة وعمر ألسابقين في سؤال القبر بما يأتي :

حديث (القبر اما حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة)(٣).

وحديث (اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن ألنار ويقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيامة)(٤).

وحديث (قيل لرسول الله (ﷺ) : ان فلانا قد مات فقال مستريح او مستراح منه)(٥).

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) ان النبي (ﷺ) مر بقبرين فقال: (انهما يعذبان وما يعذبان في كبير اما احداهما فكان لايستتر من بوله واما الاخر فكان يمشي بالنميمة)(٦). ووردت احاديث اخرى تؤكد هذا المعنى(٧).

---

(١) سورة غافر٤٦.

(٢) انوار التنزيل ٢٦٩/٢وفيه–وفي الاية دليل على بقاء النفس وعذاب القبر .

(٣) الاحياء ٤٩٥/٤ رسالة التوحيد ١٠٢أصول الدين الاسلامي ٣٧١ المغني عن حمل الاسفار ٤٩٥/٤وفية اخرج الترمذي من حديث أبي سعيد .

(٤) الاحياء ٤/ ٤٩٥ المغني عن حمل الاسفار ٤٩٥/٤ وفيه الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

(٥) الاحياء ٤٩٧/٤ المغني عن حمل الاسفار٤٩٧/٤–وفية –الحديث متفق عليه من حديث ابي قتادة بلفظ
مر– بجنازة فقال ذلك وهو عند ابنٌ ابيٌ الدنيا في الموت باللفظ الذي أورده الغزالي أهـ بتصرف يسير.

(٦) نيل الاوطار ١١٠/١رسالة في التوحيد ١٠٢ سبل السلام ٨٢/١ وفية : الحديث ثبت في الصحيحين.

(٧) وردت احاديث تدل على تعجيل العذاب في القبر بسبب البول منها : استنزهوا من البول فأن عامة عذاب القبر منه . رواه الدار قطني .
ومنها : اكثر عذاب القبر من البول . رواه الحاكم وهو صحيح الاسناد أهـ انظر سبل السلام ٨٢/١–٨٣ونيل الاوطار ١١٠/١–١١١.

وفي الحديث الاول دلالة على تعجيل العذاب عند الموت في القبر من غير تأخير وانما يتأخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله(١).

وفي الحديث الثاني دلالة على مشاهدة المقعدين من عذاب في القبر ونعيم في الآخرة ، وفي هذه المشاهدة ما له أثره البالغ من العذاب في القبر(٢). في الحديث الثالث- أشار (ﷺ) بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه(٣).

وفي الحديث الرابع دلالة على خصوصية البول في تعجيل العذاب في القبر(٤). وبناء على ذلك :

(أ) فان كان الميت فاجرا نظر الى سيئاته وتحسر عليها تحسرا يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له :

﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾(٥).

ويعذب في قبره ماشاء الله من عذاب حسب أعماله -فسقا أو كفرا-.

(ب) وان كان مؤمنا وسع الله له في قبره وتبين له من سعة رحمة الله وجلاله ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالحسن الضيق. وقد ضرب رسول الله(ﷺ) لذلك مثلا فقال في رجل مات : أصبح هذا مرتحلا عن الدنيا وتركها لأهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لايسر أحدكم ان يرجع الى بطن أمه(٦).

وقال(ﷺ) إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه ، اذا خرج من بطنها بكي على مخرجه حتى اذا رأى الضوء ووضع لم يحب ان يرجع الى مكانه(٧).

---

(١) الاحياء ٤/٤٩٥.
(٢) الاحياء ٤/٤٩٥ بتصرف .
(٣) الاحياء ٤/٤٩٧.
(٤) نيل الاوطار ١/١١٠ سبل السلام ١/٨٢.
(٥) سورة الاسراء ١٤.
(٦) الاحياء ٤/٤٩٧ المغني عن حمل الاسفار /٤٩٧ وفيه -اخرجه ابن ابي الدنيا وفيه من رواية بقية عن جابر بن غانم السلفي عن سليم بن عامر الجنائزي مرسلا" هكذا أهـ.
(٧) الاحياء ٤/٤٩٧ المغني عن حمل الاسفار /٤٩٧ وفيه - اخرجه ابن ابي الدنيا وفيه من رواية بقية عن جابر بن غانم السلفي عن سليم بن عامر الجنائزي مرسلا" هكذا أهـ.

فعرفنا رسول الله (ﷺ) بذلك أن نسبة الاخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم . وان المؤمن يجزع من ألموت ، فاذا أفضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لايحب الجنين ان يرجع الى بطن أمه(١).

هذا وقد انكر بعض الناس عذاب القبر ونعيمه بحجة عدم مشاهدة ذلك وأجيب بما يأتي :

١- ان ذلك ثبت بالأحاديث الصحيحة ولا سبيل الى أنكاره بحجة عدم مشاهدته ، فالصحابة كانوا يصدقون نزول الوحي على الرسول (ﷺ) مع انهم لم يروه وهذا كذلك(٢).

٢- ان النائم قد يحدث له من الرؤى والاحلام ما يسعده او يشقيه والمتيقظ بجانبه لا يحس بشيء من ذلك فما قد يكون غير مشاهد بحقك لايعني أنه غير موجود في نفس الامر(٣).

وكذلك عذاب القبر ونعيمه يصيب مستحقه سواء قبر أم لم يقبر، أكلته السباع أم احترق حتى صار رمادا" ونسف في الهواء(٤). لان ذلك كائن بالنسبة للروح والروح باقية مهما تعرض البدن للتلاشي او الفناء.

المطلب الثالث

ما يتبع الميت في قبره

يستطيع الانسان- في الحياة الدنيا ان يفعل ما يشاء من الخير أو الشر فيكتب له ذلك أو عليه. والناس في ذلك متفاوتون ﴿**فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات**﴾(٥) فاذا مات الانسان ودفن في قبره لم يبق معه الا عمله - خيرا" كان او شرا" - فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال (يتبع الميت ثلاثة أهله وماله وعمله فيرجع أثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ويبقى عمله) متفق عليه(٦). وظاهر قوله تعالى

---

(١) الاحياء ٤/٤٩٦-٤٩٧ (بتصرف واختصار).
(٢) الاحياء ١/١١٤ والاحياء ٤/٥٠٠-٥٠١ (بتصرف وحذف) رسالة في التوحيد ١٠٢ أصول الدين الاسلامي ٣٧٠.
(٣) المصادر السابقة نفسها.
(٤) الغنية ١/٦ أصول الدين الاسلامي ٣٧٢ الروح ٥٨ الجوهرة ١٣٥.
(٥) سورة فاطر ٣٢.
(٦) دليل الفالحين ٢/٧٨ وفيه السياق للبخاري- أصول الدين الاسلامي ٣٦٥.

﴿وان ليس للانسان الا ما سعى﴾(١).

وظاهر هذا الحديث المتقدم يدل على أن الميت لاينتفع من عمل غيره عموما" الا ان هذا العموم مخصوص بأحاديث تدل على انتفاع الميت بعمل غيره منها ما رواه ابو هريرة (رضي الله عنه) قال: قال (ﷺ) (اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) رواه مسلم(٢).

ومنها ما روي عن ابي هريرة (رضي الله عنه) ايضا" قال: قال رسول الله (ﷺ) (ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما نشره وولدا" صالحا" تركه ، ومصحفا" ورثه ، ومسجدا" بناه ، وبيتا" لابن السبيل بناه ، ونهرا" اجراه وصدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته ، تلحقه من بعد موته)(٣).

قال العلماء ولا تنافي بين حديثي أبي هريرة السابقين اذ ذكر في حديثه الاول ثلاثا" ، وفي الثاني سبعا" -لان مفهوم العدد غير حجة واما لانه-(ﷺ) - اطلع على الاول اولا ثم اطلعه الله على الثاني ثانيا"- وفيه سبع خصال فاخبر به ، قال الامام السيوطي وقد وردت خصال اخر بلغت بها عشرا" وقد نظمتها فقلت :

اذا مات أبن ادم ليس يجري ... عليه من فعال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجل ... وغرس النخل والصدقات تجري
وراثة مصحف ورباط ثغر ... وحفر البئر أو اجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي ... اليه أو بناء محل ذكر

وزاد رحمه الله في شرح مسلم الحادية عشرة فقال :

وتعليم لقرآن كريم ... فخذها من أحاديث بحصر(٤)

---

(١) سورة النجم ٣٩.
(٢) دليل الفالحين ١٩٤/٦/١٠٥.
(٣) دليل الفالحين ١٠٤/٦ وفيه رواه أبن ماجة / أصول الدين الاسلامي٣٦٥.
(٤) المصدر السابق ١٠٤/٦/١٠٥.

المبحث الثالث

الساعة (القيامة)

المطلب الأول

١- تعريف الساعة : هي الوقت الذي يموت فيه الاحياء في هذا العالم ويظطرب نظامه(١).

٢- اسماؤها - وردت لها أسماء في القرآن الكريم منها - يوم البعث ويوم القيامة ويوم الفتح ويوم التلاقي ويوم الجمع والتغابن ويوم الخلود ويوم الخروج ويوم الحسرة ويوم التنادي ويوم الآزفة - كما تسمى الطامة والحاقة والغاشية والواقعة والقارعة والصاخة والآخرة(٢).

وذكر الامام الغزالي لهذا اليوم أسماء تزيد على المئة(٣) وقد أختلفت هذه الاسماء تبعا" لاختلاف الاحوال والمشاهد والمناسبات في اليوم الرهيب.

٣- الايمان بوقوعها.

قيام الساعة حقيقة أكيدة والايمان بها واجب وأنكارها كفر وتكذيب لتصريح القرآن الكريم. والاحاديث المتواترة أما ألقرآن فآيات :

منها قوله تعالى :

﴿وإنّ الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل﴾(٤)

وقوله تعالى :

﴿قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم﴾(٥).

وقوله تعالى :

﴿ويلٌ يومئذٍ للمكذبين الذين يُكذبونَ بيوم الدين وما يُكذب به الا كلّ مُعتَد اثيم﴾ (٦).

---

(١) الرسالة في التوحيد ١٠٣ العقيدة الاسلامية والاخلاق١٢٨ اصول الدين الاسلامي ٣٨٠.
(٢) رسالة في التوحيد ٩٧.
(٣) الاحياء ٥١٦/٤ / ٥١٧.
(٤) سورة الحجر ٨٥.
(٥) سورة سبأ ٣.
(٦) سورة المطففين ١٢/١٠.

وأما الاحاديث فأكثر من ان تحصى وسنأتي الى طرف منها في المباحث الآتية فلا حاجة الى التكرار.

وقد أكد علماء العصر الحديث هذه الحقيقة رغم اختلاف وجهة نظرهم في الكيفية فمنهم من قال ان ذلك يتم عن طريق نضوب الطاقة.

ومنهم من قال انه يتم عن طريق تمدد سطح الشمس الخارجي - بعد ازدياد مفاجيء في حرارتها ، ومن ثم يصل لهيبها الى القمر ، فيختل توازن المجموعة الشمسية كلها. ومنهم من قال ان ذلك يتم عن طريق الزلازل والبراكين - لأننا كما يقول بعض العلماء - على ظهر لغم - عظيم ومن الممكن أن يتفجر في اي وقت ليدمر النظام الارضي بأكمله - ومنهم من قال بأحتمال اصطدام بعض الاجرام السماوية والنجوم ببعضها فتحدث الكارثة المحققة.

المطلب الثاني

١-موعدها ومباغتتها:

اختص الله تعالى بعلم الساعة. وأخفاها حتى على الأنبياء والمرسلين. ووعد بأنها ستأتي على حين غفلة من الناس وأنها قريبة الوقوع. واليك ادلة ذلك من الكتاب والسنة.

أما الكتاب فآيات كثيرة منها:

قوله سبحانه :

﴿ويَسألونكَ عَن السَاعة قُلْ انما علمُها عندَ اللّه ومَا يدريك لَعَلّ الساعةَ تَكونُ قريبا"﴾(١).

ومنها قوله تعالى:

﴿يَسألونَك عَن الساعةِ ايّان مُرساها قل انما علمُها عندَ ربي لايُجليها لوقتها إلا هو ثَقُلتْ في السمواتِ والارض لا تَأتيكُم الا بغتةً يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمُها عند اللّه ولكنّ اكثرَ الناسِ لايعلمونَ﴾(١).

(١) سورة الاحزاب ٦٣.
(١) سورة الاعراف ١٨٧.

واما السنة فأحاديث :

اما في حديث الايمان والاسلام - سأل جبريل الرسول (ﷺ) قائلا": فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل - رواه البخاري ومسلم(١).

وفي حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال النبي (ﷺ): (تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة ، فما يصل الاناء فيه حتى تقوم ، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم ، والرجل يلط في حوضه فما يصدر حتى تقوم)(٢).

ولعل الحكمة في عدم بيان وقتها واخفائها ان يظل الانسان متوقعا" لها كل لحظة فيكون ذلك ادعى للعمل الصالح الذي ينجيه من هول وقوعها(٣).

٢- أشراطها:

أخبر الله تعالى بأن علامات الساعة قد ظهرت في قوله تعالى :

﴿فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها﴾(٤).

كذلك أخبر رسول الله (ﷺ) بعلاماتها في أحاديث صحيحة منها ، ما ورد في صحيح مسلم ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجة -عن حذيفة بن أسيد الغفاري (رضي الله عنه) قال : طلع علينا النبي (ﷺ) ونحن نتذاكر فقال : تذاكرون قالوا نذكر الساعة فقال أنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات. الدخان والدجال والدابة.وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغيب وخسف بجزيرة العرب وأخر ذلك نار تخرج من أرض اليمن تطرد الناس الى محشرهم(٥).

---

(١) انظر اصول الدين الاسلامي ٣٨٣/٣٨٢ الغنية ٦٢/١-٦٣ رسالة في التوحيد ١٠٣ المغني عن حمل الاسفار ١١٦/٤ وفيه حديث جبريل لما سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته الحديث اخرجاه البخاري ومسلم من حديث عمر.

(٢) انظر اصول الدين الاسلامي ٣٨٣ وفي هامشه اللقحة القريبة العهد بالولادة من الابل والغنم - يطين ويصلح.

(٣) العقيدة الاسلامية والاخلاق / ١٢٨.

(٤) سورة محمد ١٨.

(٥) أصول الدين الاسلامي ٣٨٥/٣٨٤.

ومنها ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله. وحتى يقبض العلم ويكثر الزلزال ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا ارب لي به وحتى يتطاول الناس في البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون بذلك حين لاينفع نفسا" ايمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا" : ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه. ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بين لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها(١).

وهناك أحاديث أخرى صحيحة في علامات الساعة لاحاجة للاطالة بذكرها وفيما ذكرناه دلالة على المراد(٢).

ولعل الحكمة في اخبار الله ورسوله بأشراط الساعة ما ذكره القرطبي عن بعض العلماء حيث يقول – الحكمة في ذلك تنبيه الناس على رقدتهم وحثهم على الاحتياط لانفسهم بالتوبة والانابة كي لايباغتوا بالهول فيحول بينهم وبين تدارك ما اقترفوا من سيئات(٣).

٣- اهوال الساعة ودواهيها:

صور القران العظيم للناس اهوال الساعة ، وبين ما يعم السماوات والارض وأهلها من جماد وحيوان وانسان كبير وصغير من اضطراب وخراب وروع وفزع حتى ان المرء ليخال أن تلك الشواهد ماثلة أمام عينيه وان تلك الاحوال بارزة بين يديه فيشفق منها قلبه ويتصدع لها جنانه – ولا غرو فأن رسول الله (ﷺ) وهو صاحب اللواء والشفاعة والمقام المحمود –

(١) التجريد الصريح ١٥٥/٢.
(٢) أنظر البخاري ٥٨/٨– الجامع الصغير ٣٦٠/٢/ أصول الدين الاسلامي ٣٨٥/٣٨٤ رسالة في التوحيد ١٠٣ وما بعدها العقيدة الاسلامية والاخلاق ١٢٨.
(٣) اصول الدين الاسلامي ٣٨٦ – التذكرة للقرطبي ٦٢٤.

ليقول - شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتسألون وأذا الشمس كورت(١) وذلك لما فيها من اخبار القيامة وانبائها واذا كان هذا حال رسول الله (ﷺ) منها فما حال غيره من الناس اذا" ؟

واليك هذه الشواهد من كتاب الله تعالى : نبدؤها بما ذكره رسول الله (ﷺ) في سورة هود :

﴿انّ في ذلك لآية لمن خافَ عذاب الآخرة ذلكَ يوم مجموع لهُ الناس وذلك يوم مشهود ، وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد﴾(٢).

وقال تعالى في سورة الواقعة :

﴿اذا وقَعَتِ الواقعةُ ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، اذا رجت الارض رجا" ، وبست الجبال بسا" فكانت هباء" منبثا"﴾(٣).

وقال تعالى في سورة المرسلات :

﴿فاذا النجوم طمست - واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت- واذا الرسل أقتت- لاي يوم اجلت ليوم الفصل﴾(٤).

وقال تعالى في سورة - النبأ :

﴿ان يوم الفصل كان ميقاتا"- يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا" - وفتحت السماء فكانت أبوابا"- وسيرت الجبال فكانت سرابا"﴾(٥).

وقال تعالى :

﴿اذا الشمسُ كُورَت - واذا النجومُ انكدَرَت واذا الجبال سُيرَت واذا العشارُ عُطِلت - واذا الوُحوُشُ حُشرَت. واذا البحارُ سُجِرَت واذا النفُوس زُوّجت. واذا الموءودة سُئلَت بأي ذَنبٍ قُتِلَت واذا الصُحفُ نُشرَت واذا السماء كُشطت واذا الجحيمُ سُعرت واذا الجنة أزلفت عَلمَت نفس ما احضرت﴾(٦).

---

(١) ألاحياء ٥١٦/٤ المغني غن حمل ألاسفار ٥١٦/٤ وفيه حديث شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتسألون وأذا الشمس كورت- أخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه. أ هـ.

(٢) هود ١٠٥-١٠٧.

(٣) الواقعة ١-٦.

(٤) المرسلات ٨-١٣.

(٥) النبأ ١٧-٢٠.

(٦) سورة التكوير ١٤/١.

وكذلك ورد وصف هذا اليوم المشهود في ايات أخرى من القران الكريم غير ماأشار اليه النبي (ﷺ) منها : قوله تعالى :

﴿يومَ تَرجف ألارض والجبال وكانت الجبال كثيبا" مهيلا﴾(١).

وقوله تعالى :

﴿يومَ نطوي السماءَ كطي السِجل للكتب كما بدأنا اولَ خلق نُعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾(٢).

وقوله تعالى :

﴿يومَ تَرونها تذهل كل مُرضعة عَما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾(٣).

وقوله تعالى :

﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امريء منهم يومئذ شأن يغنيه . وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة . اولئك هم الكفرة الفجرة﴾(٤).

وقوله تعالى :

﴿كلا إذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا. وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى يقول ياليتني قدمت لحياتي فيومئذ لايعذب عذابه احد ولايوثق وثاقه أحد﴾(٥).

وقوله تعالى :

﴿ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد. لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾(٦).

وهذه بعض مشاهد يوم القيامة ودواهيه صورها القرآن الكريم :

﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوما" يجعل الولدان شيبا"﴾(٧).

---

(١) سورة المزمل١٤.
(٢) سورة الأنبياء١٠٤.
(٣) سورة الحج١/٢.
(٤) سورة عبس٣٤/٤٢.
(٥) سورة الفجر٢١/٢٦.
(٦) سورة ق ٢٠-٢٢
(٧) سورة المزمل ١٧ .

المطلب الثالث

الصـــــور

١- تعريفه : هو القرن ، وهو كهيئة البوق واسرافيل واضع فاه عليه ، شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فيصيح وينفخ فيه،ودليل ذلك قوله(ﷺ) ، كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالاذن ينتظر متى يؤمر فينفخ (١).

٢- عدد النفخات في الصور: المعتمد عند العلماء أن عدد النفخات في الصور اثنتان ، النفخة الاولى نفخة الفزع والصعق فيموت كل الاحياء الا من شاء الله.

النفخة الثانية – نفخة البعث والنشور بعد الموت واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة :

اما الكتاب فايات كثيرة منها – قوله تعالى في سورة الزمر :

﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون﴾(٢)

وقوله تعالى :

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ
يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

---

(١) الاحياء /٥١٢ المغني عن حمل الاسفار /٥١٢ وفيه : الحديث اخرجه الترمذي من حديث ابي سعيد وقال حسن ورواه ابن ماجة بلفظ–ان صاحبي القرن بايديهما او في ايديهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران وفي رواية ابن ماجة الحجاج بن ارطاة مختلف فيه وانظر دليل الفالحين /٢٨/٢٦ ان شئت المزيد وانظر اصول الدين الاسلامي ص ٣٣٨ ولوامع الانوار البهية ١٦١/٢ وانظر تذكرة القرطبي ٦١٥/ ١٨٥ .

(٢) الزمر ٦٨.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ (يس - ٤٨ - ٥٣)

واما السنة فاحاديث كثيرة منها :

ما رواه ابو هريرة قال : قال رسول الله (ﷺ) ، ما بين النفختين اربعون قالوا يا ابا هريرة اربعون يوما قال ابيت قالوا اربعون شهرا" قال ابيت قالوا اربعون سنة قال : أبيت - رواه مسلم(٢).

٣- ما بين النفختين :

ان مشاهير العلماء ذكروا ان ما بين النفختين اربعين سنة - فقد قال الامام الغزالي- ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى في البرزخ اربعين سنة(٣) وقال الحليمي اتفقت الروايات على ان ما بين النفختين اربعين عاما" ، بدليل رواية ابن المبارك عن الحسن قال: قال رسول الله (ﷺ) ، بين النفختين اربعون سنة ، الاولى يميت الله تعالى بها كل حي ، والاخرى يحي الله بها كل ميت(٤) الا اننا نرجح التوقف في ذلك كما توقف ابو هريرة لصحة الحديث السابق عنه ولعدم بلوغ حديث ابن المبارك مبلغ حديثه في الصحة. لاسيما وان الامر يتعلق بالغيبيات.

---

(١) سورة الزمر الايات ٤٨ - ٥٢.
(٢) اصول الدين الاسلامي ٣٨٩ - وفي هامشه - ابيت اي اجزم بان المراد اربعون يوما" او شهرا" او سنة الذي اجزم فيه اربعين مجملة والحديث في البخاري بلفظ مقارب / ارشاد الساري ٧ /٣٢٣ أ هـ .
(٣) الاحياء ٤ / ٥١٢ .
(٤) اصول الدين الاسلامي ٣٨٩ .

المبحث الرابع

(البعث والنشور)

المطلب الاول

١- البعث :

تعريفه : هو احياء الله الموتى واخراجهم من قبورهم بعد جمع اجزائهم الاصلية التي كانت منها اجسامهم في الدنيا وهذا الاحياء لغاية محاسبتهم على ما قدموا في حياتهم الاولى ، والنشور: يرادف البعث في المعنى ، يقال نشر الميت اذا عاش بعد الموت ، ونشره الله اي احياه (١).

٢- دليل وقوعه :

البعث بعد الموت من الامور الغيبية التي لم يدركها احد ، اذ ان وقوعه بعد الموت والطريق الى معرفته عند المسلمين هو القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، لان الكلام هنا يخص الاعتقاد وما كان كذلك فلابد ان يبنى على ما لاشك فيه : ولذلك استدلوا بالكتاب والسنة واكدوا ذلك بالمعقول والمشاهدة اما الكتاب فآيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة الحج :

يَاأَيُّها النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَانَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ

---

(١) انظر الجوهرة ١٣٧ /١٣٨، اصول الدين الاسلامي ٣٧٣ العقيدة الاسلامية والاخلاق ١٢٨ .

(٢) سورة الحج /٥ الآية ٦و٧

وقوله : ﴿هو الذي يَبْدأُ الخَلْقَ ثم يُعيدُه وهو أهون عليه﴾(١).

وقوله تعالى :

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الانسانُ انا خلقناهُ من نطفةٍ فاذا هو خَصيم مُبينٌ وضرب لنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَهُ قال مَنْ يُحيي العظامَ وهي رميمٌ قُل يُحييها الذي انشأها أولَ مَرَةٍ وهو بكل خَلْقٍ عَليم﴾(٢).

وقوله تعالى :

﴿كما بَدَأنا أولَ خلقٍ نُعيدُهُ﴾(٣).

واما السنة فاحاديث كثيرة : منها ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) انه قال : قال تعالى :

﴿شَتَمَني ابن آدم ومَا يَنْبَغي لَه ان يَشتِمَني وكَذبَني ومَا يَنْبَغي لَه ان يُكَذِبَني أما شَتْمه اياي فَيَقُول ان لي وَلَدا واما تكذيبه فَقوله لَنْ يعيدَني كما بَدأني﴾(٤).

وأما العقل فأدلته كثيرة منها :

١- أنه يحكم بأن الابتداء أصعب من الاعادة ولذلك قال تعالى :

﴿وهو الذي يَبْدأ الخَلقَ ثم يعيدهُ وهو أهونُ عَليهِ ولَهُ المثلُ الاعلى في السَموات والارض وهو العَزيزُ الحَكيم﴾(٥).

ولذلك قال الامام الغزالي - الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى:

﴿وضَرَبَ لَنا مَثَلا ونَسيَ خَلقَهُ قال مَنْ يُحْيي العِظامَ وهي رَميم قُلْ يُحييها الذي أنشاها أولَ مرة﴾(٦) فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال عز وجل ﴿ماخَلقكُم ولابَعثُكُم إلا كَنَفسٍ واحدَة﴾(٧)

---

(١) سورة الروم ٢٧.
(٢) سورة يس ٧٧/٧٩.
(٣) سورة الانبياء ١٠.
(٤) الاحياء ٤/١١- المغني عن حمل الاسفار ٤/٥١١-وفيه الحديث اخرجه البخاري من حديث ابي هريرة أهـ .
(٥) سورة الروم٢٧.
(٦) سورة يس ٧٨.
(٧) سورة لقمان٢٨.

والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الاول(١).

وقال أيضا- وهو يتكلم على البعث بعد الموت- ففي خلق الادمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب اعضائه اعاجيب تزيد على الاعاجيب في بعثه واعادته(٢) .

وقال بعضهم - ان الانبياء تأتي بما تدركه العقول او تتميز فيه ولا تأتي بما تحيله العقول ابدا والمعاد ممكن لانه اما ايجاد ما انعدم او جمع ما تفرق او احياء بعدما أميت وهذه كلها ممكنة لا احالة في ذلك واخبار الانبياء والكتب السماوية وخاصة القرآن كثيرة جدا"(٣).

وقال بعضهم - الاصل فيما لا دليل على وجوبه ولا على امتناعه الامكان كما يقول الحكماء والمتكلمون من ان كل ما قرع سمعك من الغرائب قذرة في حيز الامكان ما لم يردك عنه قام البرهان فمن زعم عدم اعادة المعدوم الزم بالمبدأ فان المبدأ مثل المعاد بل هو عينه أو ايسر -كمامر- وهو لايخفى على العاقل الحصيف(٤) وقال بعضهم - ان البعث ثابت بالكتاب والسنة ولامجال للشك فيه الى قوله - ان القادر على ان يخلق من النطفة وهي فضلة من الفضلات انسانا عاقلا مفكرا مدبرا عالما ، كيف يعجزه ان يعيد اجزاءه الى ماكانت عليه ثم ينفخ فيها الروح مرة أخرى ولعلها مهيأة للخلق أقرب اليه لما كانت(٥).

٢- انّ العقل قد حكم بأن الله تبارك وتعالى ماخلق هذا الانسان وفضله على ملائكته وسخر له مافي السماوات والارض دون غاية او غرض والاكان لك عبثا يتنزه الله تعالى عنه. وقد اشار تعالى الى هذه الحقائق بقوله سبحانه :

﴿أفحسبتُم انّما خلقناكم عبثا وأنكُم الينا لاترجعون فتعالى اللّه الملك الحق لا اله الا هو ربُ العرش الكريم ﴾(٦).

---

(١) الاحياء ١/١١٤.
(٢) الاحياء ٤/٥١.
(٣) اصول الدين الاسلامي ٣٧٨.
(٤) اصول الدين الاسلامي ٣٧٨.
(٥) رسالة في التوحيد ٩٨.
(٦) سورة المؤمنون ١١٥/ ١١٦.

وقوله تعالى :

﴿أيحْسَبُ الانسانُ أن يُتْرَكَ سُدى ألَمْ يَكُ نطفةً مِنْ مَنيٍّ يُمْنَى ثم كان علقةً فخلقَ فسوّى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليْسَ ذلك بقادرٍ على أنْ يُحْيِيَ الموْتى﴾(١).

أيعقل أن يكون مثل هذا المخلوق العظيم مثل الدابة او الحشرة ينتهون الى مصير واحد دونما تمييز. بل لا يعقل أن يترك الله الافراد من الناس يتطاحنون ويتظالمون ويقهر بعضهم بعضا بلا رادع ولا وازع ثم يمضون هكذا لسبيلهم بدون أن يقتص من المسيء أو يكافيء المحسن(٢).

وكذلك يؤكد العلم الحديث امكانية البعث فقد ذكر العلماء أن جسم الكائن الحي يتجدد مابين وقت واخر. فجسم الانسان يستهلك حوالي (١٢٥) مليون خليه في الثانية الواحدة ويحيا مثل هذا القدر محلها وهذا يعني أن جسم الانسان في تجدد ودورة مستمرة من موت الى حياة وحياة الى موت قال تعالى :

﴿وتُخرجُ الحيَّ من الميتِ وتُخرجُ الميتَ من الحيِّ﴾(٣)

فجسم الانسان يموت ويحيا في كل لحظة فالقادر على احيائه واماتته على مرآى من العين في الدنيا قادر على احيائه بعد موته في حياة اخرى (٤).

واما المشاهدة فانا نرى الخريف يأتي فيجرد اوراق الاشجار ثم يأتي الربيع فتعود الحياة وتعود أوراق الاشجار. وكذلك نرى الماء ينزل على الارض اليابسة الجرداء فتهتز بالنبات وقد جعل الخالق جل شأنه هذه الحقيقة المشاهدة صورة ومثلا لامكانية بعث الانسان واعادته للحياة مرة ثانية في قوله تعالى

﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنّاتٍ وحبَّ الحصيد - والنخلَ باسقاتٍ لها طلع نضيد - رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج﴾(٥).

---

(١) سورة القيامة ٣٦ ومابعدها .
(٢) رسالة في التوحيد ٩٧/ ٩٨ الاحياء ٤/ ٤٩٣ العقيدة الاسلامية ١٢٨/ ١٢٩ أصول الدين الاسلامي ٣٣٤/٣٣٥ و ٣٣٩ و٣٧٣/٣٧٤.
(٣) سورة آل عمران ٢٧.
(٤) أصول الدين الاسلامي ٣٧٩.
(٥) سورة (ق) ٩-١١.

(ج) حكم الايمان بالبعث :

حكم العلماء بكفر منكر البعث والنشور لما مر من الادلة في هذا المبحث وفي مبحث اليوم الآخر(١) ، ولذلك انكر الله على الكافرين استغرابهم البعث وحكم عليهم بالكفر والعذاب في قوله تعالى :

﴿وان تعجب فعجب قولُهُم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلقٍ جديد أولئك الذين كفروا بربِّهم وأولئك الاغلال في أعناقِهِم وأولئكَ اصحابُ النار هم فيها خالدونَ﴾(٢)

وقال تعالى

﴿مأواهم جهنم كلما خَبَت زدناهم سعيرا" ذلك جزاؤهُم بأنهم كفروا بآياتِنا وقالوا أإذا كنا عظاما" اانا لمبعوثون خَلْقا" جديدا" أوَ لم يَرو أن اللّه الذي خلق السماواتِ والارض قادرٌ على أن يخلقَ مثلهم﴾(٣).

المطلب الثاني
كيفية البعث والنشور

ذهب جمهور الفلاسفة الالهيين الى أن البعث يكون للأرواح فقط ، فهو عندهم – عود النفوس الى ماكانت عليه من التجرد قبل تلبسها بالبدن وهم لذلك يؤولون النصوص التي تفيد البعث الجسماني ويرون انها جاءت في صورة المحسوس تقريبا لذهن العوام(٤) والذي اجمع عليه أهل الملل الثلاث: (المسلمون واليهود والنصارى) أن المعاد بالجسم والروح معا" وقد استدل المسلمون على ذلك بما يأتي :

١- ان الله تعالى يقول على لسان الكافرين ويرد عليهم :

﴿وضَرب لنا مثَلا" ونَسي خلْقه قال من يُحيي العظام وهي رميمٌ قل

---

(١) أصول الدين الاسلامي ٣٧٩.
(٢) سورة الرعد /٥.
(٣) الاسراء ٩٧-٩٩.
(٤) العقيدة الاسلامية والاخلاق ص١٢٩ اصول الدين الاسلامي ٣٧٤.

يحييها الذي انشأها أوّل مرةٍ وهو بكلّ خلقٍ عليمٌ﴾ (١)
وقال أيضا
﴿أيحسَبُ الانسانُ أنْ لَن نجمع عظامهُ بلى قادرين على ان نسوّي بنانَه﴾(٢).
وقوله تعالى :
﴿وقالوا لجلودِهِم لِم شَهِدتُمْ علينا قالوا أنطقَنَا اللّه الذي أنطقَ كلّ شيءٍ﴾(٣).

٢- ان العقل يحكم بان الجزاء من جنس العمل ، وكمال العدل يقتضي أن من عمل عملا من جنس فحقه أن يستوفي أجره من ذلك الجنس ، وأن المنعم والمعذب في الحقيقة هو النفس ، وان لها نوعين من النعيم والعذاب نفسيا" وجسديا" وان احساسها بكل واحد منهما يغاير احساسها بالآخر ، وانها كلفت تكليفين جسديا وروحيا ولايسد أحدهما مسد الاخر حتى لايجزي الايمان عن الاعمال والاعمال عن الايمان ، وان قضية الجزاء الأوفي أن يهمل نصيب احد النوعين ويستوفى نصيب النوع الاخر(٤).

ولذلك قال بعض العلماء - اثبته الحكماء والمليون(٥) وقال ابن القيم الجوزية: معاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصاري(٦) وقال الجلال الدواني: المعاد الجسماني يجب الاعتقاد به ، ويكفر منكره ، وهو حق باجماع اهل الملل الثلاث (المسلمون واليهود والنصارى) وشهادة نصوص القرآن في المواضع المتعددة بحيث لايقبل التأويل(٧) وهو قول غيرهم من العلماء(٨).

---

(١) سورة يس ٧٨/٧٩. الاحياء ١/١١٤.
(٢) سورة القيامة ٣/٤ .
(٣) سورة فصلت ٢١.
(٤) رسالة في التوحيد ص٩٩.
(٥) أصول الدين الاسلامي ٣٤٧ عن المقاصد وشرحه ٢/٢١٠/٢١١.
(٦) المصدر السابق ٣٧ عن الروح لابن القيم ٥٢ ولوامع الانوار ألبهية ٢/١٥٧.
(٧) المصدر السابق ٣٤٧ عن حاشية جلال الواني على العقائد العضدية ٢/٢٤٧.
(٨) انظر الجوهرة ١٣٨ ولوامع الانوار البهية ٢/١٥٨.

المبحث الخامس

(الحشر ، الموقف)

١- تعريفه :

الحشر لغة : الجمع - يقال حشرت الناس اذا جمعتم.

وشرعا يطلق على عدة معان منها - جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الارض للحساب(١) والمكان الذي يجمعون فيه يسمى المحشر والموقف(٢).

٢- ادلته :

الادلة من الكتاب والسنة على حشر الناس وجمعهم للحساب في مكان واحد وصفه أهوال الناس فيه كثيرة :

أما الكتاب فقوله تعالى

﴿وحشرناهُمْ فلم نغادرْ منهمْ أحدا﴾(٣).

أما السنة فاحاديث منها :

ماروي عن رسول الله (ﷺ) انه قال :

(يبعث الناس حفاة عراة عزلا قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان) ، قالت سودة زوجة النبي (ﷺ) راوية الحديث قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض ؟ قال شغل الناس عن ذلك بهم (لكلِّ امرىءٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغْنيه)(٤).

ومنها ما رواه ابو هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) يحضر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم ، فقال رجل يا

---

(١) انظر أصول الدين الاسلامي ٣٩٠ وانظر المعاني الاخرى فيه .
(٢) الجوهرة ١٤١.
(٣) سورة الكهف ٤٧.
(٤) سورة عبس ٣٧ . الاحياء ٥١٣/٤المغني عن حمل الاسفار ٥١٣/٤وفيه الحديث اخرجه الثعلبي والبغوي وهو في الصحيحين من حديث عائشة وهي القائلة -واسواتاه -ورواه الطبراني في الاوسط من حديث أم سلمة وهي القائلة (واسواتاه).

رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم(١).

ومنها يحضر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء حرص النقي ، ليس فيها معلم لاحد ، قال الراوي والعفرة بيضاء ليس بالنصع والنقي هو النقي عن القشرة والنخالة ، ومعلم أي لابناء يستر ولاتفاوت يرد البصر(٢).

وروى أبو هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا" ويلجمهم ويبلغ اذقنهم(٣).

هكذا ومن خلال النظر في أدلة الحشر تظهر لنا بعض الملامح والاهوال التي تحل بالناس في ذلك اليوم العصيب ، الذي يكون فيه الحساب.

وذكر بعض العلماء ان من هول الموقف – طول الوقوف واللجام وعرق الناس وتطاير الكتب بالايمان والشمائل ولزومها الاعناق والمسألة وشهادة الالسنة والأيدي والارجل والسمع والبصر والجلود والارض والليل والنهار والحفظة الكرام وتغير الالوان(٤).

٣- الايمان به :

الايمان به حق وواجب لورود ذلك في الكتاب والسنة وانعقاد اجماع المسلمين عليه(٥). ولذلك فمنكره كافر.

---

(١) الاحياء ٥١٣/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥١٤/٤ وفيه الحديث رواه الترمذي وحسنه وفي الصحيحين من حديث انس ان رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال اليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة.

(٢) الاحياء ٥١٣/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥١٣/٤ وفيه : الحديث متفق عليه من حديث سهل ومن سعد وفصل البخاري قوله – ليس فيها معلم لاحد – فجعلها من قول سهل او غيره وادرجها مسلم فيه.

(٣) الاحياء ٥١٣/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥١٤/٤ وفيه الحديث اخرجاه في الصحيحين كما ذكره الغزالي رحمه الله – هنا –.

٤) الجوهرة ١٤١/١٤٢.

٥) الجوهرة ١٤٢.

المبحث السادس
الحساب والمساءلة

١- تعريفه :

هو في اللغة العد - وفي الاصطلاح عرف بعدة تعاريف منها تعريف الله عبده بمقادير ثواب الاعمال وعذابه بقراءة سيئاته او حسناته وماله وما عليه(١) في المحشر والمسألة بمعنى الحساب.

٢- ادلته :

وردت آيات واحاديث تدل على الحساب والمسألة في المحشر واكد ذلك العلم الحديث.

اما الآيات فقد عبرت عن ذلك بتعابير متغايرة.

(أ) منها ما ورد بلفظ الحساب كقوله تعالى :

﴿**انَّ الينا ايابهم ثم انَّ علينا حسابهم**﴾(٢).

(ب) ومنها ما ورد بلفظ السؤال كقوله تعالى :

﴿**فلنسألنَّ الذين أُرسل اليهم ولنسألنَّ المرسلين فلنقصَّنَّ عليهم بعِلم وما كُنا غائبين**﴾(٣).

(ج) ومنها ما ورد بلفظ الجواب كقوله تعالى :

﴿**يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لاعلم لنا انك انت علامُ الغيوب**﴾(٤).

(د) ومنها ماورد بعرض صحائف الاعمال - كقوله تعالى :

﴿**ووُضِعَ الكتابُ فترى المجرمينَ مشفقينَ مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لايُغادرُ صغيرة" ولاكبيرة" الا احصاها ووجَدُوا ماعَمِلوا حاضِرا" ولايظلِمُ ربُّك أحدا**﴾(٥).

---

(١) انظر الاحياء ٥١٧/٤ الغنية ٧٢/١ الجوهرة ١٣٩ في رسالة التوحيد ١٣٠ العقيدة والاسلام ١٣.
(٢) سورة الغاشية ٢٦.
(٣) سورة الاعراف ٧.
(٤) سورة المائدة ١١٣.
(٥) سورة الكهف ٤٩.

(هـ) ومنها ماورد بشهادة الاعضاء والجوارح كقوله تعالى :

حتى اذا ماجاءوها شهِدَ عَليهِم سمعُهم وابصارُهُم وجلودُهُم بما كانوا يعملون، وقالوا لجلودِهم لِمَ شهِدتمْ علينا قالوا أنطقَنا اللهُ الذي انطقَ كلَّ شيءٍ وهو خلقكم أولَ مرةٍ واليه ترجَعون وما كنتم تستترون ان يشهدَ عليكم سمعُكم ولا ابصارُكم ولاجلودُكم ولكن ظننتم ان الله لايعلمُ كثيرا مما تعملون(١).

(و) ومنها ما ورد باستلام الصحائف في اليمين والشمال والحساب كقوله تعالى :

﴿فأما من أُوتي كتابَهُ بيمينه فسوف يحاسب حِسابا يسيرا﴾(٢)

وغير ذلك(٣).

واما الاحاديث فكثيرة منها :-

ما ورد عنه (ﷺ) انه قال ، مامنكم من احد الا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان(٤).

وما روى عنه (ﷺ) انه قال : (ليقفن احدكم بين يدي الله عزوجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له الم انعم عليك ألم اوتك مالا ؟ فيقول بلى ، الم أرسل اليك رسولا ؟ فيقول بلى ، ثم ينظر عن يمينه فلايرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار ، فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة)(٥).

وما رواه أنس قال كنا مع رسول الله (ﷺ) فضحك ثم قال اتدرون مم اضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال من مخاطبة العبد ربه ، يقول يارب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول لا اجير على نفسي الا شاهد أمتي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا" وبالكرام الكاتبين شهردا قال فيختم على

---

(١) سورة فصلت ٢٠/٢٢.
(٢) سورة الانشقاق ٧/٨.
(٣) اصول الدين الاسلامي ٣٩٣ وما بعدها (بتصرف).
(٤) الاحياء ٤/١٥٩ المغني عن حمل الاسفار ٤/٥١٩ وفيه الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم بلفظ -الا سيكلمه- الحديث.
(٥) الاحياء ٤/٥١٩ المغني عن حمل الاسفار ٤/٥١٩ وفيه الحديث أخرجه البخاري من حديث عدي بن حاتم.

فيه ويقال لأركانه انطقي قال فتنطق قال باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول لاعضائه بعدا لكن وسحقا" فعنكن كنت أناضل(١).

وأما العلم الحديث فقد دل بصورة قاطعة على تسجيل جميع الاعمال واحصائها وان ذلك محفوظ في سجل الكون ومحفوظ في الفضاء ولايمكن ان يزول بل يمكن أن يعاد سماعه ان كان صوتا وتصويره ان كان حركة او صورة(٢).

﴿وعندَهُ مفاتحُ الغيبِ لايعلمُها الا هو ويعلمُ ما في البرِّ والبحر وما تسقُطُ من ورقة الا يَعْلمُها ولاحبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابس الا في كتابٍ مبين﴾(٣).

٣- كيفية الحساب :

لم ترد النصوص صريحة في بيان كيفيته ، والظاهر أن الله سبحانه يخلق في المحاسبين القدرة على فهم خطابه ، أو سيجعل الملائكة وسطاء في هذا الامر ولسنا مطالبين بغير الايمان بانه سيقع(٤).

٤-أنواعه :

قال بعض العلماء ، منه اليسير والعسير والجهر والتوبيخ والفضل والعدل(٥). وقال بعض العلماء - ذكر الله تعالى الحساب جملة ، وجاءت الاخبار بذلك ، وفي بعضها ما يدل على ان كثيرا" من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب ، فصار الناس اذن ثلاث فرق - فرقة لا يحاسبون اصلا. وفرقة تحاسب حسابا يسيرا وهما من المؤمنين. وفرقة تحاسب حسابا شديدا ، يكون

---

(١) الاحياء ١٥٩/٤ المغني عن حمل الاسفار ١٥٩/٤ وفيه الحديث رواه مسلم.

(٢) انظر رسالة التوحيد ١١٨ أصول الدين الاسلامي هامشه ٣٩٣ الاسلام يتحدى ٨١/٨٠.

(٣) سورة الانعام /٥٩.

(٤) العقيد الاسلامية والاخلاق ١٣٠- لكن في الجوهرة ص١٤٠ ما نصه يسمعهم كلامه القديم او صوتا يدل عليه يخلقه سبحانه في اذن كل واحد من المكلفين او من يقرب من أذنه بحيث لاتبلغ قوة ذلك الصوت مع الغير من سماع ما كلف به وهذا هو الذي تشهد له الاحاديث الصحيحة وتتسع قدرته سبحانه لمحاسبتهم معا كما تتسع لاحداثهم معا.

(٥) الجوهرة ١٤٠ .

منهم مسلم وكافر واذا كان **في المؤمنين من يكون ادنى الى** رحمة الله ، فلا يبعد ان يكون من هو أدنى الى غضب الله فيدخله النار بغير حساب(١).

هذا وسيكون الحساب لجميع الخلائق بعد ان يخرج الله لكل انسان كتابه(٢) يقول له :

﴿**اقرأ كتابك كفى بنفسك اليومَ عليكَ حسيبا**﴾(٣).

٥-الحكمة من الحساب :

لعل الحكمة في الحساب راجعة الى ان الله تبارك وتعالى مع علمه بتفاصيل ما حدث من الاعمال في الدنيا ، يريد اظهار فضائل الصالحين ، ورذائل الطالحين على رؤوس الاشهاد ليكون ذلك زيادة في تكريم الاولين وبيان خسران الاخرين(٤).

٦- الايمان بالحساب :

ذهب العلماء الى وجوب الايمان بالحساب وذهبوا الى كفر من انكره لثبوته بالادلة القاطعة(٥).

---

(١) اصول الدين الاسلامي ٢٩٥ ورسالة التوحيد ١١٧ عن التذكرة: ٢٨٦ الغنية ٧٣/١ .
(٢) سورة الاسراء ١٤ .
(٣) العقيدة الاسلامية والاخلاق ١٣٠ الجوهرة ١٤٠ .
(٤) العقيدة الاسلامية والاخلاق ١٣٠ رسالة التوحيد ١١٨ .
(٥) الجوهرة ١٤٠ شرح على القارى ٥٦ .

المبحث السابع
الميـــــــزان

١- تعريفه :

الميزان لغة معروف وشرعا اختلف فيه على ثلاثة اقوال :

القول الاول :

ان جمهور المسلمين يرون. ان لله ميزانا يزن فيه الحسنات والسيئات يوم القيامة وان له لسانا وكفتين ويميل بالاعمال(١).

القول الثاني :

ان المعتزلة والخوارج ومجاهدا والضحاك والاعمش يرون أن المراد بالميزان العدل - لان الاعمال عندهم هي اعراض ، والاعراض يستحيل وزنها اذ لا تقوم بأنفسها ، وقد رد عليهم بأن الله تعالى يقلب الاعراض اجساما فيزنها كما روي لك عن ابن عباس(٢).

القول الثالث :

يرى العلماء ان البشر قد اكتشفوا في العصر الحديث موازين للحر والبرد والكهرباء والماء واتجاه الرياح والامطار - وغيرها أفيعجز خالق البشر عن وضع موازين للاعمال النفسية والبدنية التي سماها الدين بالحسنات والسيئات ، بلى انه على كل شيء قدير(٣).

والراجح من ذلك القول الاول - عملا بظواهر الادلة الصحيحة- من الآيات والاحاديث الآتية ولان عدم التأويل اولى من التأويل.

٢- ادلته :

وردت آيات كثيرة واحاديث بلغت مبلغ التواتر تدل على الوزن والميزان.

اما الايات فكثيرة منها قوله تعالى :

---

(١) انظر الغنية ٧٢/١ رسالة في التوحيد ١١٤.
(٢) المصدران السابقان.
(٣) رسالة في التوحيد ١١٥.

﴿ونَضَعُ الموازينَ القِسْطَ ليوم القيامة فلا تُظلمُ نفسٌ شيئا" وإنْ كان مثقالَ حَبَّةٍ من خَردلٍ أتينا بها وكفى بِنا حاسبين﴾(١).

وقوله تعالى :

﴿فأما من ثَقُلتْ موازينهُ فهو في عيشةٍ راضيةٍ﴾(٢).

وقوله تعالى :

﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم﴾(٣).

واما الاحاديث فكثيرة منها :

قوله (ﷺ) في حديث روي عنه - انه يؤتي بالرجل يوم القيامة الى الميزان ، ثم يؤتي بتسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ، وفيها كلها سيئاته وخطيئاته فترجح سيئاته على حسناته فيؤمر به الى النار ، فاذا أدير به اذا صائح يصيح من عند الرحمن لاتعجلوا فقد بقي له ، ويؤتى بمثل رأس الابهام وامسك على النصف منه فيها شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا" رسول الله ، فيوضع في كفة حسناته فتثقل حسناته على سيئاته فيؤمر به الى الجنة.

وفي لفظ اخر - فيخرج له بقرطاس مثل هذا وامسك على ابهامه فيه شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا" رسول الله الى آخر الحديث(٤).

وما رواه الحسن - ان رسول الله (ﷺ) كان رأسه في حجر عائشة (رضي الله عنها) فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها ، فنقط على خد رسول الله (ﷺ) فانتبه فقال : ما يبكيك يا عائشة - قالت ذكرت الآخرة ، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ قال : والذي نفسي بيده في ثلاثة مواطن فان احدا لايذكر الا نفسه. فاذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن

---

(١) سورة الأنبياء ٤٧.

(٢) سورة القارعة ٦/٧.

(٣) سورة المؤمنون ١٠٣ والاعراف ٩.

(٤) الغنية ١/٧٢/٧٣ الاحياء ٤/٥٤٥/٥٤٦ وفيه الحديث بمعناه وكثر في الحديث لفظ البطاقة بدل القرطاس-وفي المغني عن حمل الاسفار ٤/٥٤٥/٥٤٦-حديث البطاقة رواه ابن ماجة والترمذي وقال حسن غريب وفي أصول الدين الاسلامي ص٣٩٨ بعد ان ذكر معنى الحديث هذا الحديث - قال - رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب واخرجه ابن ماجة في سننه وقال بدل قوله في اول الحديث -ان الله يستخلص رجلا من أمتي على روؤس الخلائق يصاح برجل من امتي على روؤس الخلائق رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي وقال الحاكم على شرط مسلم أ هـ.

آدم اتخف ميزانه أم تثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه اوبشماله. وعند الصراط(١).

٣- الموزون :

اختلف العلماء في الموزون - أهو صحائف الاعمال - أم الاعمال - بناء على ماورد في احاديث صحيحة في كل ذلك(٢).

ويمكن الجمع بين هذه الاحاديث على ان الثلاثة ممكنة في أحوال مختلفة ، أو ان وزن احدهما فعلا يعني وزن الباقيين تبعا.

٤- محله ووقته :

قال العلماء- اذا انقضى الحساب كان بعده الوزن- لان الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها (٣)

٥- الحكمة منه :

هي اظهار العدل وبيان الفضل حيث أنه يزن مثاقيل الذر خيرا" او شرا"(٤).

وبذلك صرح الامام الغزالي حيث يقول - الميزان حق- لى قوله - ووجهها ان الله تعالى يحدث في صحائف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله تعالى فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب(٥).

---

(١) الاحياء ٥٢٠/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥٢٠/٤ وفيه الحديث اخرجه أبو داود من رواية الحسن انها ذكرت فبكت فقال ما يبكيك دون كون رأسه (ﷺ) في حجرها وأنه نعس واسناده جيد أ هـ.

(٢) انظر الاحياء ١١٥/١١٤/١ أصول الدين الاسلامي ٣٩٩/٣٩٧ رسالة في التوحيد ١١٤.

(٣) أصول الدين الاسلامي ٣٩٧.

(٤) أصول الدين الاسلامي ٣٩٩ عن شرح العقيدة الطحاوية ٤١٢/٤١١ لوامع الانوار البهية ١٨٨/٢.

(٥) الاحياء ١١٥/١١٤/١.

٦- حكم الايمان به :

الايمان به واجب وانكاره كفر وهذا ما ذهب اليه العلماء[١] لما تقدم من الآيات والاحاديث.

(١) الجوهرة ١٤٢ شرح على القاري ٥٨.

المبحث الثامن
الصـــــــراط

١- تعريفه :

وهو لغـة - الطريـق الواضـح مـن سـرطت الشـيء اذا ابتلعتـه بالصـاد والسين - لانه يبتلع المارة.

واصطلاحا" - جسر ممدود على متن جهنم يرده الاولون والاخرون فهو قنطرة جهنم في طريق الجنة(١).

٢- أدلته :

هناك آيات وأحاديث كثيرة تدل على الصراط - اما الايات فمنها قوله تعالى

﴿**فأهدوهم الى صراطِ الجحيم وقفوهم إنهم مَسؤولون**﴾(٢)

وقوله تعالى:

﴿**ولَو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون**﴾(٣).

واما الاحاديث فمنها ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) ان رسول الله (ﷺ) قال: يضرب الصـراط بين ظهرانـي جهنم فـأكون أول من يجيز بأمتـه من الرسل(٤).

ومنها ما رواه أبو سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ﷺ) يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختلف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبيه ملائكة يقولون - اللهم سلم اللهم سلم ، فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجري ومنهم من يسعى

---

(١) انظر الاحياء ١/١١٥ و ٤/٥٢٤ الجوهرة ١٤٣ أصول الدين الاسلامي ٤٠١ عن لوامع الانوار البهية ٢/١٨٩ رسالة في التوحيد ١١٨و١١٩.

(٢) سورة الصافات ٢٤.

(٣) سورة يس ٦٦.

(٤) الاحياء ٤/٥٢٤ وفيه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة في اثناء حديث طويل أهـ.

سعيا" ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار الذين هم اهلها فلا يموتون ولايحيون. وأما الناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة(١).

٣- صفته :

الصواب ان الصراط يسهل أو يصعب المرور عليه بحسب الاعمال وأنه يسع اكثر من موطئ قدم على كل حال. اما كون الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف فلم يصح ذلك عن رسول الله (ﷺ) وانما يروي عن بعض الصحابة(٢).

٤- الايمان به :

قال بعض العلماء : الايمان بالصراط على جهنم واجب(٣) وقال الامام الغزالي - وهو جسر ممدود على متن جهنم - الى قوله - وهذا ممكن فيجب التصديق به(٤). وقال بعضهم - كذا الصراط يعني انه كأخذ العباد للكتب وكالوزن والميزان في وجوب الايمان به سمعا"(٥) وبذلك نقول.

---

(١) الاحياء ٥٢٥/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥٢٥/٤ وفيه الحديث متفق عليه مع اختلاف الالفاظ.

(٢) انظر أصول الدين الاسلامي ٤٠٣ عن لوامع الانوار البهية ١٩٣/٢. الاحياء ٥٢٥/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥٢٥/٤ - وفيه - حديث انس - الصراط كحد السيف - أو كحد الشعر الحديث أخرجه البيهقي في الشعب وقال هذا اسناد ضعيف قال روى عن زياد النمري عن انس مرفوعا - الصراط كحد الشعرة او كحد السيف وقال رواية صحيحة أ هـ ورواه احمد من حديث عائشة وفيه ابن الهيعة أ هـ.

(٣) الغنية ٧٠/١.

(٤) الاحياء ١١٥-١.

(٥) الجوهرة ١٤٣ شرح على القارئ ٥٨.

المبحث التاسع
الحـــــــوض

١- صفته :

خص الله نبينا محمدا (ﷺ) (بالحوض) في القيامة يسقى منه المؤمنون دون الكافرين. ويكون ذلك بعد جواز الصراط وقبل دخول الجنة فمن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا" عرضه مسيرة شهر وماؤه أشد بياضامن اللبن وأحلى من العسل ، حوله أباريق على عدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر اصله في الجنة وفرعه في الموقف(١).

٢- ادلته :

وقد وردت أحاديث في ذكر الحوض ووصفه بلغت حد التواتر ، رواها من الصحوابة بضعة وثلاثون صحابيا ، استقصاها ابن كثير في آخر تاريخه البداية والنهاية(٢). ومن الاحاديث الواردة في الحوض - ما ورد عنه (ﷺ) أنه كان يقول ما بين حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء - أو مثل ما بين المدينة وعمان(٣).

ومنها ما روي عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال : والذي نفس محمد بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ، والليلة المظلمة المصحية ، من شرب منه لم يظمأ ، آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة ، عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة ، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل(٤).

٣- استمداد مائه :

هذا وقد ورد في الاحاديث الصحيحة ان الحوض هذا يستمد ماءه من الكوثر ، وهو نهر في الجنة - فقد قال انس (رضي الله عنه) ، اغفى رسول الله (ﷺ)

---

(١) انظر الغنية ١/٧١ أصول الدين الاسلامي ٣٩٦ وشرح العقيدة الطحاوية ١٨٩.
(٢) انظر اصول الدين الاسلامي ٣٩٥/٣٩٦ الغنية ١/٧١ الجوهرة ١٤.
(٣) الاحياء ٤/٥٢٩ المغني عن حمل الاسفار ٤/٥٢٩ وفيه رواه مسلم عن انس.
(٤) الاحياء ٤/٥٢٩ المغني عن حمل الاسفار ٤/٥٢٩ وفيه رواه مسلم.

اغفاءة فرفع رأسه مبتسما" فقالوا لـه يـا رسـول اللـه ، لـم ضحكت؟ فقـال أيـة أنزلت علي انفا وقرأ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناكَ الكوثر﴾(١)

حتى ختمها ، ثم قال هل تـدرون مـا الكوثر؟ قـالوا اللـه ورسـوله اعلـم قال، نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير هـو (حـوض) تـرد عليـه امتي يوم القيامة انيته عدد نجوم السماء(٢).

وقال أنس – في وصف الكوثر ايضا" – قال رسول الله (ﷺ) ، بينمـ أنا اسير في الجنة اذا بنهر ما فتاه قباب اللؤلؤ المجـوف قلـت مـ هـذا يـا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك ، فضرب الملك بيـده فـاذا طينه مسك اذفر(٣).

٤– من يذاد عن الحوض :

هذا ويذاد عن الحوض ويـرد كثير مـن النـاس كمـا تـذاد الغريبـة مـن الابل، فعـن انـس(رضي الله عنه) عـن النبـي (ﷺ) قـال :لـيردن علـي نـاس مـن اصحابي الحوض حتى اذا عرفتهم اختلجوا دوني فاقول اصحابي فيقول لاتدري ما احدثوا بعدك(٤).

وعن اسـماء بنـت ابـي بكـر الصديـق قـالت : قـال رسـول اللـه (ﷺ) ، اني على الحوض حتى انظر من يرد علي منكم ، وسـيؤخذ نـاس دوني ، فاقول يا رب مني ومن امتي ، فيقال امـا شـعرت مـا عملـوا بعدك والله ما برحوا بعدي يرجعون على اعقابهم(٥).

---

(١) سورة الكوثر (١).

(٢) الاحياء ٥٢٩/٤ المغني عـن حمل الاسفار ٥٢٩/٤ وفيـه رواه مسلم وانظر اصول الدين الاسلامي ص ٣٩٦ وفيه الحديث بلفظ اخر نحو هذا رواه مسلم.

(٣) الاحياء ٥٢٩/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥٢٩/٤ وفيه اخرجه الـترمذي وقـال حسن صحيح ورواه البخاري من قول انس لما عرج النبي (ﷺ) الى السماء الحديث وهو مرفوع – وان لم يكن صرح به النبي (ﷺ) أ هـ.

(٤) اصول الدين الاسلامي ٣٩٦ وفيه رواه البخاري الغنية ٧١/١ .

(٥) المصدر السابق ٣٩٦ وفيه رواه مسلم.

ولذلك قال العلماء كل من إرتد عن دين الله او احدث فيه ما لا يرضاه ، ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبغدين عنه(١).

٥- الايمان بالحوض:

يجب الايمان بالحوض فيثاب عليه من صدق به ويبدع ويفسق جاحده والى ذلك ذهب العلماء(٢).

(١) اصول الدين الاسلامي ٣٩٧ عن التذكرة ٣٠٦ ولوامع الانوار البهية ٢/٢٠٠
(٢) الجوهرة ١٤٥ و١٤٦ .

المبحث العاشر

الجنة والنار واوصافهما واوصاف اهلهما

المطلب الاول

الجنة تعريفها – ادلتها–وصفها . وصف اهلها وبيان ذلك فيما يأتي :

١– **تعريفها** : هي في اللغة البستان

وفي الشرع هي دار الثواب التي اعدها الله سبحانه لعباده الصالحين(١).

٢– ادلتها :

ادلة الجنة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة اكثر من ان تحصى ولنذكر لك من ذلك امثلة :

فمن الكتاب الكريم قوله تعالى :

﴿**ونودوا ان تِلكُمُ الجَنَّة اورثتُموها بما كُنتُم تعملون**﴾(٢).

واما الحديث فمنه ما رواه انس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) آتي يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من انت؟ فاقول محمد فيقول : بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك(٣) ، وسنأتي بعد قليل الى مزيد من الادلة.

٣– **وصفها** :

ورد وصف الجنة في الكتاب والسنة الصحيحة في آيات واحاديث كثيرة ، اما الكتاب فقوله تعالى :

﴿**مثلُ الجنة التي وعدَ المتقون فيها أنهارٌ من ماء غير آسن وأنهار من عسلٍ مُصفًّى**﴾(٤).

---

(١) انظر الغنية ٧٣/١ العقيدة الاسلامية ١٣١ رسالة في التوحيد ١٠٦ .

(٢) سورة الاعراف ٤٣

(٣) الاحياء ٥٣٧/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥٣٧/٤ وفيه الحديث اخرجه مسلم من حديث انس.

(٤) سورة محمد ١٥ .

وقوله تعالى :
﴿ما تَشتَهيهِ الأنفُسُ وتَلَذُّ الأعينُ وانتم فيها خالدون﴾(١).
وقوله تعالى :
﴿وجنةٍ عرضها السمواتُ والأرضُ أعِدَّت للمتقين﴾(٢) وغير ذلك.

واما الحديث فمنه ما رواه ابو هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) انه قال: ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤوا ان شئتم (وظل ممدود)(٣) فدل الحديث على سعة الجنة(٤) ، ومنه ما رواه في عدد ابواب الجنة وانها ثمانية ابواب قال: رسول الله (ﷺ) من انفق زوجين (صنفين) من ماله في سبيل الله دعي من ابواب الجنة كلها ، وللجنة ثمانية ابواب فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الصيام ومن كان اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، فقال ابو بكر (رضي الله عنه) : والله ما على احد من ضرورة من ايها دعي ، فهل يدعى احد منها كلها قال : نعم وارجوا ان تكون منهم(٥) .

هذا وذكر بعضهم ان منازل الجنة سبعة ، في شكل درجات اعلاه الفردوس ثم الجنة المأوى ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة عدن ثم دار السلام ثم دار الاجلال. وقيل هي اربع فقط وقيل هي واحدة وانما اختلفت اسماؤها باعتبار النظر اليها وهذا هو الذي نرجحه لانه يمكن الجمع به بين الايات والاحاديث الصحيحة الواردة بذلك(٦).

(١) سورة الزخرف ٧١ .
(٢) سورة ال عمران ١٣٣ .
(٣) سورة الواقعة ٢٠ .
(٤) الاحياء ٥٣٨/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥٣٩/٤ وفيه الحديث متفق عليه من حديث ابي هريرة .
(٥) الاحياء ٥٣٨/٤ المغني عن حمل الاسفار /٥٣٦ وفيه: الحديث متفق عليه أ هـ وانظر بستان العارفين ١٦٤/١٦٣ وفيه: في الاستدلال على ان ابوابها ثمانية دليل لطيف في فهم كتاب الله ثم قال بعده والصحيح ان يقال انما عرف ان ابوابها ثمانية بالخبر .
(٦) انظر العقيدة الاسلامية والاخلاق ١٣١ بستنا العارفين ١٦٣ وفيه : الجنات اربع رسالة في التوحيد ١٠٨ الجوهرة ١٤٥ الاحياء ٥٣٦/٤ وفيه قال رسول الله (ﷺ) في قوله تعالى (**ولمن خاف مقام ربه جنتان**) (سورة الرحمن ٤٦) قال جنتان من

٤- وصف اهلها :

ورد وصف اهل الجنة في الكتاب والسنة الصحيحة في آيات واحاديث كثيرة .

اما الكتاب :

فقوله تعالى :

﴿يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أساوِر من ذَهبٍ ولؤلؤ ولباسُهم فيها حرير﴾(١).

وكذلك وردت آيات في وعد المتقين والابرار والصادقين والمؤمنين والمقربين. والذين آمنوا وعملوا الصالحات وغير ذلك(٢).

واما السنة :

فقد ورد في الصحيح في وصف اهل الجنة اخبار كثيرة منها :

ما ورد عنه (ﷺ) انه قال : ينادي منادٍ يا اهل الجنة ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا" ، وان تحيوا فلا تموتوا ابدا ، وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا"، وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا" ، فذلك قوله عز وجل

﴿ونودوا ان تلكُمُ الجنّةُ اورثتمُوها بما كنتم تعملون﴾(٣).

وما رواه ابو سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ): ان اهل الجنة يتراءون اهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكواكب الغائر في الافق من المشرق الى المغرب لا تفاضل ما بينهم - قالوا يا رسول الله ، تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين(٤).

وعن صهيب قال : قال رسول الله (ﷺ) في قوله تعالى :

﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادةٌ﴾(٥)

- فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظر الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن أ هـ وفي المغني عن حمل الاسفار ٥٣٦/٤ الحديث متفق عليه من حديث ابي موسى.

(١) سورة الحج ٢٣.

(٢) انظر اصول الدين الاسلامي ٤١٧/٤١٦ وقد ساق ايات لاوصاف كل اولئك.

(٣) سورة الاعراف ٤٣.

(٤) الاحياء ٥٣٧/٤ المغني عن حمل الاسفار ٤ / ٥٣٧ وفيه الحديث متفق عليه.

(٥) سورة يونس ٢٦.

قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد؟ الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟ قال فيرفع الحجاب ، وينظرون الى وجه الله عز وجل فما اعطوا شيئا" احب اليهم من النظر اليه(١).

المطلب الثاني
النار - ادلتها - وصفها ووصف اهلها

وبيان ذلك فيما ياتي :

١- تعريفها :

هي لغة جسم لطيف محرق .
وشرعا" هي دار العقاب التي اعدها الله سبحانه للعصاة من خلقه(٢).

٢- ادلتها :

ادلة النار في القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرة ولنذكر لك امثلة من ذلك : فاما من القرآن الكريم فقوله تعالى :

﴿واتقوا النار التي أُعدّت للكافرين﴾(٣).

وقوله تعالى : ﴿قُل نارُ جهنمَ أشَدُ حرا" لَو كانوا يفقهون﴾(٤)

واما الحديث فمنه ما رواه ابو هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : اشتكت النار الى ربها فقالت اكل بعضي بعضا" فاذن لها في نفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما تجدونه في الصيف من حرها واشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها(٥).

---

(١) الاحياء ٥٤٣/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥٣٧/٤ وفيه حديث صهيب رواه مسلم.
(٢) الغنية ٧٣/١ العقيدة الاسلامية ١٣١ رسالة في التوحيد ١٠٩ .
(٣) سورة ال عمران ١٣١ .
(٤) سورة التوبة ٨١
(٥) الاحياء ٥٣١/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥٣١/٤ وفيه الحديث متفق عليه من حديث ابي هريرة أ هـ .

وما رواه عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك[1].

٣- وصف النار :

وصف الله النار بقوله : ﴿لواحةٌ للبشرِ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿كلا انها لظى نزاعة للشّوى﴾[3]. وذكر تعالى ان لها بسبعة ابواب بقوله :

﴿لها سبعةُ أبوابٍ لكل بابٍ منهم جزءٌ مقسوم﴾[4].

وسماها الله تعالى بسبعة اسماء هي : جهنم ، سقر ، لظى ، الحطمة ، السعير ، الجحيم ، والهاوية ، فقال تعالى:

﴿يوم نقولُ لِجهنم هل امتلأتِ وتقولُ هل من مَزيد﴾[5]. وقال تعالى ﴿سأُصليه سَقَر وما ادراك ما سَقَر﴾[6] وقال تعالى:

﴿إنها لظى نزاعة للشوى﴾[7] وقال تعالى :

﴿لَيُنبذنّ في الحُطَمَة وما أدراكَ ما الحُطمة﴾[8] وقال تعالى:

﴿وأعتدنا لهم عذابَ السعير﴾[9] وقال تعالى:

﴿وبُرِّزت الجحيمُ للغاوين﴾[10] وقال تعالى:

﴿وأما مَنْ خَفّت موازينُهُ فأمُه هاوية. وما أدراكَ ما هي نارٌ حامية﴾[11].

وكذلك وصف الرسول الاعظم (ﷺ) النار وما فيها باحاديث منها :

---

(١) الاحياء ٥٣٣/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥٣٣/٤ وفيه الحديث اخرجه مسلم من حديث عبدالله بن مسعود .
(٢) سورة المدثر ٢٩ .
(٣) سورة المعارج ١٥ /١٦ .
(٤) سورة الحجر ٤٤ .
(٥) سورة ق ٣٠ .
(٦) سورة المدثر ٢٦ /٢٧ .
(٧) سورة المعارج ١٦ .
(٨) سورة الهمزة ٤/٥ .
(٩) سورة الملك ٥ .
(١٠) سورة الشعراء ٩١ .
(١١) سورة القارعة ٩ /١١ . انظر الاحياء ٥٣١/٤ الجوهرة رسالة في التوحيد ١١١ بستان العارفين ١٦٥ .

(ولو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا افسدت على اهل الدنيا معايشهم)(١).

٤- وصف اهلها :

ورد وصف اهل النار باوصاف كثيرة في الكتاب العزيز وفي الاحاديث النبوية الصحيحة :

اما الكتاب فقوله تعالى :

﴿فأمّا مَنْ طغَى وآثر الحياة الدنيا فانّ الجحيم هي المأوى﴾(٢) ، وقوله تعالى : **﴿ان الذين لا يَرجونَ لقاءَنا ورَضُوا بالحياةِ الدنيا واطمأنّوا بها والذين هم عن آياتنا غافلونَ أولئكَ مأواهم النارُ بما كانوا يكسبون﴾(٣)**.

وكذلك وردت آيات في وعيد أهل النار من الكافرين والمكذبين بآيات الله المتكبرين عن سماعها والمنافقين والمجرمين والغاوين والظالمين والطاغين والمؤثرين الحياة الدنيا على الاخرة والفجار والمعادين لله ولرسوله ، ومن خفت موازينه منهم(٤).

وأما السنة فقد ورد في وصف اهل النار احاديث صحيحة منها ما رواه ابو هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) من آتاه الله مالا" فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا" أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه يعنى اشداقه - فيقول انا مالك ، انا كنزك ، ثم تلا قوله تعالى :

---

(١) الاحياء ٥٣٢/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥٣٢/٤ وفيه : الحديث اخرجه الترمذي ، وقال حسن صحيح ، وابن ماجة أ هـ (اقول) وقد ورد ذكر الزقوم في آيات من القران الكريم منها . (ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم) سورة الواقعة ٥١ /٥٥ وقال تعالى - (انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين فانهم لاكلون منها فمالؤون منها البطون ثم ان لهم عليهم لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) سورة الصافات ٦٨/٦٤ - انظر الاحياء ٥٣٢/٤ .

(٢) سورة النازعات ٣٩/٣٧ .

(٣) سورة يونس ٨/٧ .

(٤) أنظر اصول الدين الاسلامي ٤٠٥ / ١٦ وقد ساق آيات لاوصاف كل اولئك فراجعه ان شئت المزيد .
الاحياء ٥٣٢/٤ .

﴿ولايحسَبَنّ الذين يبخلونَ بما آتاهُمُ الله من فضلهِ هو خيرا" لهُم بل هو شرّ لهم سَيُطوّقونَ ما بَخلُوا يوم القيامةَ وللهِ ميراثُ السماواتِ والارضِ والله بما تعملون خبيرٌ﴾(١).

ومنها ورد عنه (ﷺ) انه قال : ان أدنى اهل النار عذابا" يوم القيامة من ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه(٢).

الايمان بالجنة والنار :

من اجل ما مر من الادلة قال العلماء بوجوب الايمان بالجنة والنار وانهما حق كما أخبر الله ورسوله

﴿كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت وإنما توفّونَ اجوركم يوم القيامة فمن زُحزِحَ عن النار وأُدخِلَ الجنةَ فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاعُ الغرور﴾(٣)

وأنهما حق كما اخبر الله ورسوله. هذا وذهب الجمهور الى انهما مخلوقتان الان وانهما خالدتان ولايفنيان وذكروا لذلك أدلة(٤).

---

(١) الاحياء ٥٣١/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥٣١/٤ وفيه الحديث متفق عليه من حديث النعمان بن بشير . انظر الجوهرة ١٤٤ وما بعدها.
(٢) الاحياء ١١٥/١ الجوهرة ٤٤٥ شرح على القاري ٢٢/٢٦ العقيدة الاسلامية والاخلاق
(٣) سورة آل عمران ١٨٥ .
(٤) الاحياء ٥٣٣/٤ المغني عن حمل الاسفار ٥٣٣/٤ وفيه الحديث اخرجه البخاري من حديث ابي هريرة ومسلم من حديث جابر نحو أ هـ .

المبحث الحادي عشر
المطلب الاول
التـــــــوبة

١- تعريفها :

التوبة لغة : الرجوع ؛ يقال : تاب فلان من كذا. أي رجع عنه(١).
وشرعا" : هي الرجوع عما كان مذموما في الشرع الى ما هو محمود فيه(٢).

٢- حكم التوبة :

التوبة من سائر الذنوب واجبة باجماع الامة ، فقد قالّ تعالى :
﴿يا آيها الذينَ آمنوا توبوا الى الله توبةً نصوحا" عسى ربُكم أن يُكَفِّرَ عنكُم سيئاتِكُم ويدخلكم جناتٍ تجري من تحتِها الانهار﴾(٣).

٣- التوبة واقسام الذنوب :

الذنوب قسمان كبائر وصغائر(٤) وقد اختلف العلماء في عدد الكبائر فقيل ثلاث ، وقيل أربع ، وقيل سبع ، وقيل تسع ، وقيل احدى عشرة ، وقيل سبع عشرة وقيل سبعون ، وقيل انها مبهمة ليعظم جد الناس في الحذر منها.

وقيل كل ما وعد الله عليه بالنار. وقيل كل ما اوجب الحد في الدنيا.
اما الصغائر : فلا سبيل الى حصرها ، والذي تجب التوبة عنه جميع الذنوب كبيرها وصغيرها لقوله تعالى :

---

(١) الغنية ١/١١٦ .
(٢) المصدر السابق ١/١١٦ .
(٣) سورة التحريم ٨ الغنية / ١١٦ الاحياء ٤ و ٧ وفيه وجوب التوبة على الفور
(٤) انظر الجوهرة ١٥١ وفيها ايضا" اراء المرقبة القائلين بأن جميع الذنوب صغائر والخوارج القائلين بان جميع الذنوب كبائر .

﴿وذرُوا ظاهر الأثم وباطنَهُ﴾(١) واذا تاب العبد بصدق من الكبائر اندرجت تحتها في العفو رحمة من الله لقوله :

﴿إن تجتنبوا كبائرَ ما تُنهونَ عنه نُكفِّر عنكم سيئاتكم﴾(٢)

٤- شروط التوبة :

اما شروطها فهي :

١-الندم بالقلب على عمل المخالفات لقول الرسول (ﷺ)(الندم توبة)(٣).

٢-ترك المعصية في جميع الحالات والساعات.

٣-العزم على عدم العودة مثل ما اقترف من الخطيئات(٤).

٤-ان يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفا" منه لا من غيره(٥).

٥- ما يقصد من التوبة :

ينبغي للتائب كما عزم الا يعود الى مثل حاله السابقة - وان يتدارك ما فاته فيها من حقوق الله وحقوق عباده ، فاذا فاته شيء من الصلاة او الزكاة او الصوم او الحج او غير ذلك ، اسرع الى قضائه او ادائه بحسب الطاقة. وكذلك يجب عليه تدارك ما للعباد عليه من حقوق او مظالم فيرد ما أخذه ظلما" او غصبا" لاهله. ويكفر عن كل شيء ارتكبه في حق الناس بمثله او بما يقاربه اويعوض عنه والا كانت توبته وذنبه غير مغفور وميزانه مرجوح- لقوله (ﷺ) الدواوين ثلاثة . ديوان يغفر وديوان لا يغفر. وديوان لا يترك . فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى وأما الديوان الذي لايغفر فالشرك بالله.تعالى ، واما الديوان الذي لايترك

(١) سورة الانعام ١٢٠ .

(٢) سورة النساء ٣١.الغنية ١١٧/١١٦/١ الاحياء ١٧/٤ وما بعدها -سبل السلام ٦/٤.

(٣) المغني عن حمل الاسفار ٣/٤ - وفيه حديث الندم توبة- اخرجه ان ماجة وابن حبان والحاكم وصحح اسناده من حديث ابن مسعود ورواه ابن حبان والحاكم من حديث انس وقال صحيح على شرط الشيخين أ هـ .

(٤) الغنية ١٢٢/١ الرسالة القشيرية ٤٥ .

(٥) أصول الدين الاسلامي ٢٦٣ وفيه ذكر الشرائط الاربعة نقلا عن التذكرة للقرطبي ٤٦/٤٥ .

فمظالم العباد(١).

وعن ابي هريرة (رضي الله عنه) ان رسول الله (ﷺ) قال :(أتدرون من المفلس؟ قالوا : المفلس من لادرهم له ولا متاع).

فقال المفلس من أمتي من ياتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد شتم هذا واكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار رواه مسلم(٢).

ثم يكثر بعد ذلك من فعل الحسنات حتى تذهب سيئاته لقوله تعالى :

﴿انَّ الحسناتِ يُذهِبنَ السيئاتِ﴾(٣) وقوله (ﷺ) : (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها)(٤).

٦- فضل التوبة :

اليك هذه الايات والاحاديث وهي تدل دلالة قاطعة على فضل التوبة وعظيم اثرها في حب الله للتائبين الراجعين. وذكرهم في معرض المدح والثناء حينا". وفرح الله بهم عز وجل حينا" آ ر.

فقد قال تعالى :

﴿انَّ اللّه يُحِبُّ التَوابين ويُحب المتطهرين﴾(٥).

وقال تعالى :

﴿التائبونَ العابدونَ الحامدونَ السائحون الراكعونَ الساجدونَ الآمرونَ بالمعروف والناهونَ عن المنكر والحافظون لحدودِ اللّه وبشرالمؤمنين﴾(٦).

وقال النبي : (ﷺ)(الله افرح بتوبة المؤمن من رجل نزل في ارض

---

(١) الغنية ١٢٧/١ الاحياء ١٧/١٦/٤ المغني عن حمل الاسفار ١٧/٤ وفيه : حديث الداوين اخرجه احمد والحاكم وصححه من حديث عائشة وفيه صدقة بن موسى الدقيقي صنفه بن معين وغيره وله شاهد من حديث سلمان رواه الطبراني أ هـ .

(٢) دليل الفالحين ٣٦٦/٣٦٤/٢ .

(٣) سورة هود ١١٤ .

(٤) المغني عن حمل الاسفار ١٠/٤ و ٣٥ وفيه اخرجه الترمذي من حديث ابي ذر وصححه أ هـ انظر الاحياء ١٢/٤ الغنية ١٢٢/١ وما بعدها .

(٥) سورة البقرة ٢٢٢.

(٦) سورة التوبة ١١٢.

دوية مهلكة راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبا حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله قال ، ارجع الى مكاني الذي كنت فيه ، فانام حتى اموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ اذا راحلته عنده ، عليها زاده وشرابه فالله تعالى أشد فرحا" بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته) وفي بعض الالفاظ (قال من شدة فرحه اذ اراد شكر الله ، انا ربك وانت عبدي)(١).

وهذا فضل التوبة فبادر اليها. وفي الاحاديث ادلة على ان العبد اذا عصى الله وتاب الله عليه ولا يزال كذلك(٢).

المطلب الثاني
الاعمال بالخواتيم

١- تعريف حسن الخاتمة وسوء الخاتمة :

حسن الخاتمة : هي الموت على التوحيد وسوء الخاتمة هي الموت على خلاف ذلك والعياذ بالله(٣).

٢- حسن الخاتمة وسوءها من علم الله :

ان الانسان مهما عمل من خير او شر فهو لايدري ايختم له بالسعادة او بالشقاء وانما ذلك في علم الله تعالى، فقد قال رسول الله (ﷺ) ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة ، حتى يقول الناس انه من اهلها

---

(١) الغنية ١٢٩/١ - الاحياء ٥/٤ - المغني عن حمل الاسفار ٥/٤ وفيه الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود وانس زاد مسلم في حديث انس- ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي وانا ربك . اخطأ من شدة الفرح ورواه مسلم بهذه الزيادة من حديث النعمان بن بشير ومن حديث ابي هريرة مختصرا" أ هـ .

(٢) انظر سبل السلام ١٨٠/٤ .

(٣) انظر الاحياء ٤٥/٤ .

ولايبقى بينه وبين الجنة الا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها(١).

ولايعني هذا ان الانسان يتكل على ما في قدر الله من حسن الخاتمة او سوئها بل يجب عليه ان يجد في فعل الطاعات وتجنب المحرمات والاستقامة على ذلك الى اخر لحظة من حياته ، فان هذا من تيسير الله له لحسن الخاتمة والا خشي عليه سوء الخاتمة.

وكذلك يجب على الانسان ان لا يعجب بايمانه وعمله وصلاته وصومه وجميع قربه لان ذلك وان كان من كسبه فانه من خلق الله ، فاذا افتخر الانسان بذلك كان كالمفتخر بمتاع غيره ، وربما سلبه عنه فعاد قلبه من الخير اخلى من جوف الطير ، فكم من روضة امست وزهرها يانع عميم ، فاصبحت وزهرها يابس هشيم ، كذلك العبد يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق سليم ، فيصبح وهو بمعصيته مظلم سقيم كما يقول بعضهم(٢).

وكذلك يجب على المرء الا ييأس من رحمة الله تعالى ، بل يرغب الى الله في التوبة ان قصر في اياته الماضية ويعزم على المضي في الطريق المستقيم السليم املا في حسن الخاتمة- فان الاعمال بالخواتيم ، كما قال رسول الله (ﷺ)(٣).

---

(١) الاحياء ٤٥/٤ المغني عن حمل الاسفار ٤٥/٤ وفيه : الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد ومن قوله سبعين سنة - والمسلم من حديث ابي هريرة - ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة- الحديث- ولاحمد من رواية شهر بن حوشب عن ابي هريرة- ان الرجل ليعمل بعمل الخير سبعين سنة . وشهر مختلف فيه- وانظر اصول الدين الاسلامي ٣٦١ .

(٢) اصول الدين الاسلامي ٣٦٢ عن التذكرة في احوال المؤمن وامر الاخرة للقرطبي ٣٦ / ٣٨ .

(٣) انظر اصول الدين الاسلامي ٣٦١ وفيه الحديث وبلفظ- ان العبد لعمل عمل اهل النار- وانه من اهل الجنة ويعمل عمل اهل الجنة-وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم - رواه البخاري،

المبحث الثاني عشر

(مستلزمات النبوة)

وفيه مطالب

١- العصمة

٢- الوحي

٣- المعجزة

المبحث الثاني عشر
المطلب الاول
العصمة

يلزم الانبياء- عليهم السلام - من الصفات الحميدة ، والسجايا الطيبة ما يحقق المقصود من بعثتهم ، بحيث يكونون للناس قدوة حسنة ، لذا يجب على كل مكلف ان يثبت لهم اجمالا" كل كمال بشري. واما تفصيلا" فقد اوجب العلماء لهم عدة صفات ترجع كلها في نظرنا الى صفة العصمة وسنوضح ذلك فيما يأتي :

العصمة

العصمة هي : حفظ الله تعالى ظواهر الانبياء وبواطنهم عن فعل منهي عنه ، كالقتل والجسد، او ترك مأمور به، او هي لطف من الله تعالى بالعبد ، يحمله على فعل الخير : ويزجره عن فعل الشر مع بقاء الاختيار(١).

والعصمة من الصفات اللازمة للانبياء والرسل - عليهم السلام - فيجوز عليهم ترك المأمورات ، وفعل المحرمات. سواء كانت من الكبائر كالكفر- الكذب والخيانة او من الصغائر التي تتنافى مع الخلق الكريم كسرقة حبة والتطفيف بثمرة.

دليل العصمة :

١- الدليل العقلي :

أ- لو لم يكن الانبياء معصومين لصدرت منهم الافعال القبيحة ،فعلا او تركا ولو حصل هذا لكان خيانة في حق الله والخيانة كذب والكذب محال على الانبياء ، لان الله ايدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم(٢).

ب- ولو جاز علهم ان يخونوا الله تعالى بفعل محرم او مكروه للزم ان يكون ذلك المحرم او المكروه طاعة،لان الله امرنا بطاعتهم واتباعهم في

---

(١) اصول الدين الاسلامي ص ٢١٨ .
(٢) لجنة من اساتذة كلية اصول الدين / العقيدة الاسلامية ص ١٠٥ .

اقوالهم وافعالهم من غير تفصيل ، فكل ما صدر منهم فنحن مأمورون به، وكل مأمور به فهو طاعة لان الله تعالى لا يامر بالفحشاء(١).

٢- الدليل النقلي :

قال تعالى :

﴿وما كان لنبي ان يغل﴾(٢). ﴿اولئك الذين هدى اللّه فبهداهم اقتده﴾(٣). ﴿وجعلناهم ائمة يَهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وكانوا لنا عابدين﴾(٤). ﴿انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا" ورهبا" وكانوا لنا خاشعين﴾(٥).

فهذه الايات وغيرها كثير تضفي على الانبياء من الطهر والنزاهة ما يجعل منهم صورة مثلى للكمال الانساني. ولو لم يكونوا كذلك لسقطت هيبتهم في القلوب ، ولصغر شأنهم في عين الناس ، وبذلك تضيع الثقة بهم فلا ينقاد لهم احد وتذهب الحكمة من اراسلهم لو فعلوا شينا" مما يتنافى مع الكمال الانسَاني بأن يتركوا واجبا" ، او يفعلوا محرما" ، او يرتكبوا ما يتنافى مع الخلق الكريم لكانوا قدوَة سيئة ، ولم يكونوا مثلا" عليا".

ان انبياء الله يدركون بحسبهم الذي تميزوا به على غيرهم من البشر فيرون مظاهر جماله وجبله ، ودلائل قدرته وعظمته ، واثار حكمته ورحمته يرون ذلك في انفسهم وفيمن حولهم : في الارض وفي السماء وفي الليل والنهار ، وفي الحياة والموت ، فتمتلىء قلوبهم اجلالا ووقارا" له ، فلا يبقى فيها مكان لشيطان ، ولا موضع لهوى ، ولا جنوح لشهوة ، ولا ارادة لشيء سوى ارادة الحق والتفاني فيه والاستشهاد من اجله(٦).

وما ورد في القرآن الكريم مما يوهم ظاهره بأن بعض الانبياء ارتكبوا ما يتنافى مع عصمتهم فهو ليس على ظاهره ، يتضح ذلك فيما يأتي:

---

(١) أصول الدين ص ٢٢٥ .
(٢) آل عمران / ١٦١ .
(٣) الانعام / ٩٠ .
(٤) الانبياء / ٧٣ .
(٥) الانبياء / ٩٠ .
(٦) سيد سابق/ العقائد الاسلامية ص ١٨٣ والشيخ عبدالكريم المدرس / نور الاسلام ص ٦٣-٦٥ .

١ – آدم عليه السلام :

قال تعالى:

﴿**وعصى آدم ربه فغوى**﴾(١).

والعصيان من الكبائر بدلالة قوله تعالى:

﴿**ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم**﴾(٢).

والغواية اتباع الشيطان لقوله تعالى :

﴿**الا من اتبعك من الغاوين**﴾(٣). وقال تعالى:

﴿**فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه**﴾(٤). واستحقاق الاخراج من الجنة بسبب ازلال الشيطان لهما يدل على ان الصادر منهما كبيرة.

ولكن اذا امعنّا النظر رأينا ان المعصية انما وقعت من آدم نسيانا" منه لعهد الله ، ولم يصدر عنه هذا الفعل عن ارادة وقصد ، والله سبحانه لا يؤاخذ على الخطأ ولا على النسيان.

والدليل على ان ما وقع من آدم كان نسيانا" وعن غير عمد قوله تَعالى: ﴿**ولقد عهدنا الى آدم فنسي ولم نجد له عزما**"﴾(٥). وانما اعتبر القرآن ذلك النسيان معصية نظرا" لمقام آدم الذي خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأسكنه جنته ، وعلمه الاسماء كلها ، والذي شأنه هكذا يجب ان يكون يقظا" كاقوى ما تكون اليقظة بحيث لا ينسى وصاية الله له وعهده اليه ، فهذا : من باب (حسنات الابرار سيئات المقربين)(٦).

٢ – موسى عليه السلام :

قال تعالى :

﴿**ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان. هذامن شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه،**

---

(١) طه / ١٢١ .
(٢) الجن / ٢٣ .
(٣) الحجر / ٤٢ .
(٤) البقرة / ٣٦ .
(٥) طه / ١١٥ .
(٦) سيد سابق/العقائد الاسلامية ص١٨٣-١٨٤، اصول الدين الاسلامي ص٢٢٥ -٢٢٦.

فوكزه موسى فقضى عليه. قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين. قال اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم﴾(١).

(فموسى (عليه السلام) دخل المدينة ، فوجد فيها مصريا" واسرائيليا" من قومه ، وهما يتضاربان ، الا ان الاسرائيلي الذي هو من شيعته وقومه ضعيف غير قادر على مقاومة المصري ، فاستغاث بموسى ، لينقذه منه ، فحدث موسى المصري بيده ضربة اصابت منه مقتلا"، ولم يقصد الى قتله قط ، وانما قصد ان يمنع عدوانه عن اخيه ، فحدث القتل الخطأ الذي لا مؤاخذة عليه الا من حيث عدم التحري والوعي الكامل ، ولا سيما لمن هم في اعلى المستوى البشري كموسى ، ونحوه من اولي العزم ، ذاكرا" خطأه طالبا" من الله العفو والغفران(٢).

٣- محمد عليه الصلاة والسلام :

قال تعالى :

﴿فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك﴾(٣).

﴿انا فتحنا لك فتحا" مبينا" ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر﴾(٤).

فظاهر الآية الاولى يوهم بان للرسول (ﷺ) ذنبا" ، وان عليه ان يستغفر الله وظاهر الآية الثانية يفيد بأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر.

والمعروف من سيرة الرسول (ﷺ) انه معصوم قبل البعثة وبعدها ، فقد عصمه الله من عبث الطفولة ولهو الشباب فلم يله كما كان لهو غيره .... وبذلك كان مدة حياته لا يخطر السوء على قلبه ، واذا كان كذلك فما معنى الذنب الذي امر ان يستغفر منه ، والذي غفر له ما تقدم منه ، وما تأخر؟

مما لاجدال فيه أن الرسول كان تصدر عنه بعض التي لم يوح اليه شيء بخصوصها ،ان كان مرها متروكا الى اجتهاده الخاص،فكان في بعض

(١) القصص / ١٥-١٦ .
(٢) العقائد الاسلامية ص ١٨٩ الدين الاسلامي ص ٢٢٦ .
(٣) محمد / ١٩ .
(٤) الفتح / ١-٢ .

بعض الاحيان يؤديه اجتهاده الى ما هو حسن متجاوزا ما هو احسن منه ، فاعتبر وقوفه عند الرأي الحسن ، وعدم اصابته ما هو احسن منه ذنبا" بالنسبة اليه ، بالاضافة الى مكانته من العلم والعقل والفقه(١) من ذلك :

أ- اجتهاده في اسرى بدر ، وقبوله الفداء : قال تعالى :

﴿**ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم. لولا كتاب من العلم سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم**﴾(٢).

ب- وقبوله اعذار المتخلفين عن الجهاد دون تمحيص هذه الاعذار ، لتبين له من هو صادق ممن هو كاذب.

قال تعالى :

عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (٣).

جـ- وعبوسه في وجه الاعمى حين طمع في اسلام بعض رجالات قريش.

قال تعالى :

﴿**عبس وتولى ان جاءه الاعمى. وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى**﴾(٤).

واما الصفات الاخرى التي اوجبها العلماء للانبياء -عليهم السلام تفصيلا" وهي التبليغ والفطانة والصدق والامانة

فقد وجدنا انها ترجع الى صفة العصمة ، ولذلك لم نفردها في بحث مستقل. توضيح ذلك ان صفة التبليغ وهي اخبار الناس بالاحكام التي امروا بايصالها اليهم ، راجعة الى (العصمة) ذلك لانها أداء لما امروا به ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك**﴾(٥).

ولو انهم لم يبلغوا او كتموا شيئا" مما امروا بتبليغه لكانوا خائنين ، والخيانة مما يتنافى مع العصمة.

---

(١) العقائد الاسلامية ص ١٩٣ .
(٢) الانفال / ٦٧-٦٨ .
(٣) التوبة / ٤٣ .
(٤) عبس /١-٣
(٥) المائدة / ٦٧.

وان صفة الفطانة ، وهي رجاحة العقل ، وحدة الذهن ، من مستلزمات (التبليغ) والا كيف يستطيع الانبياء ان يبينوا للناس ما أمروا بتبليغه من العقائد والشرائع بالحجج على المخالفين.. لو لم يكونوا فطناء أذكياء.

واما صفة (الصدق) فهي من مستلزمات العصمة ، لانها اخبار بالحقيقة التي امر الانبياء بتبليغها للناس ، ولو انهم كذبوا في شيء مما بلغوه ، لانتفت الغاية من بعثتهم لان الغاية من بعثتهم هي هداية البشر في الحال والمال ولو جاز عليهم لتحولت مهمتهم من الهداية الى الاضلال. وهذا مما يتنافى مع الغاية من ارسالهم.

واما صفة الامانة فمقصود علماء العقائد منها ما يرادف العصمة ، ليس فقط المعنى الذي يقابله الخيانة.

المطلب الثاني
الوحي

١- تعريف الوحي في اللغة :

أ- الوحي في اللغة :

اصل الوحي في اللغة ، الاعلام بالشيء سرا ، وهذا يعني انه أعم من أن يكون باشارة او كتابة أو رسالة او رؤية في منام او الهام ، او كلام من ورأء حجاب. والوحي بمعناه اللغوي غير خاص بالانبياء كما لايختص بكونه من عند الله(١).

قد ورد بهذه المعاني في عدة آيات من القرآن الكريم. قال تعالى:

﴿**فأوحى اليهم أنْ سبِّحوه بكرة وعشيا**﴾(٢). بمعنى اشار اليهم.

﴿**وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه**﴾(٣). بمعنى : الهمها.

﴿**يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا**﴾(٤). بمعنى : يسر الى بعض .

---

(١) لجنة من اساتذة كلية أصول الدين ، العقيدة الاسلامية ص٩٨.
(٢) مريم/ ١١.
(٣) القصص/٧.
(٤) الانعام/١١٢.

ب- **الوحي في الاصطلاح:**

يختلف تعريف الوحي باختلاف النظر الى معناه . فاذا نظر اليه على انه مصدر وهو (الايحاء) يعرف بأنه: (التعليم السري الصادر من الله تعالى الى أنبيائه اما بواسطة واما بغيرها).

واذا نظر اليه باعتبار الآثار المرتبة عليه ، يعرف بأنه :(عرفان يجده الموحي اليه في نفسه ، مع الجزم بأنه من قبل الله اما بواسطة واما بدونها. وقد ينظر اليه باعتبار الشيء الموحي به ، فيعرف في هذه الحالة بأنه: (كلام الله على انبيائه) . وهذا المعنى الأخير هو الذي يغلب على استعمال الوحي(١).

٢- أنواع الوحي :

انواع الوحي ثلاثة ، وقد وردت في قوله تعالى :

﴿وما كانَ لبَشر ان يُكلمه اللّه الا وَحيا" ، او من وراء حجاب ، او يرسل رسولا". فيوحيَ باذنه ما يشاء انه عليٌ حكيم﴾(٢).

١- **النوع الاول** ، وهو على وجهين :

أ- **الالهام** ، وهو الالقاء في القلب كما اوحى الله الى أم موسى ﴿**أن أرضعيه**﴾ ومنه قول الرسول الكريم : (أن روح القدس نفث في روعي(٣) . ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها واجلها..).

ب- **الرؤيا في المنام.** كما أوحى لله الى ابراهيم (عليه السلام) بذبح ولده اسماعيل ، ومنه مبدأ وحي النبي محمد (ﷺ) الرؤيا الصالحة ، وكان (عليه السلام) لايرى الرؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم.

٢-**النوع الثاني** ، من وراء حجاب : أي يكلمه الله من غير واسطة ، كما اسمع الله موسى كلامه من غير واسطة ، وكما كلم الله محمدا في ليلة الاسراء.

---

(١) العقيدة الاسلامية ص٩٨.
(٢) الشورى/٥١.
(٣) الروع : العقل والقلب .

٣- **النوع الثالث** ، يرسل رسولا: اي الايحاء بواسطة الملك ، وهذا النوع هو الغالب في الايحاء ، وقد يبقى الملك على حقيقته النورانية عند توسطه لنقل الموحي اليه ، ويخلق الله في نبيه قدرة على الفهم والتلقي منه وهو على هذه الحال.

والايحاء بهذه الكيفية كثير. ومن النادر ظهور الملك في صورة بشر ، كما رأى نبينا (عليه السلام) جبريل في صورة (دحية الكلبي)(*) وقد لايرى الموحي اليه الملك لافي صورته الاصلية ولافي صورته البشرية وانما يسمع عند قدومه صوتا خفيفا أو شديدا ، فيتعلم منه ، وهو موقن ان ما القي اليه هو من عند الله(١) جاء في صحيح البخاري : (احيانا" يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال).

٣- كيفية الوحي :

عرفنا ان الوحي بالمعنى الثالث يتم بواسطة رسول من الملائكة ، وان الملك قد يظهر في صورة بشرية ، وقد يبقى في صورته الأصلية ، وقد لايظهر في صورة ما ، وانما يسمع الموحى اليه صوتا ، فيوقن انه الوحي. فكيف يتم اتصال النبي - وهو بشر - بالملك عند بقائه في صورته الأصلية ، او حين سماعه صوتا ..؟!

ان ذلك ممكن ، وذلك بأن يخلق الله في نفس النبي استعدادا لتلقي الوحي .. ثم أن مراتب الادراك في البشر متفاوتة ، وان نفس النبي قد صفت بأصل فطرتها وأصبحت مستعدة لان يفاض عليها من المعارف والعلوم دون التقيد بطريق النظر العادي الذي هو عام لجميع البشر. ويمكن الاستعانة في تصور ذلك بالتنويم المغناطيسي الذي ظهر حديثا ، وايده العلماء علميا.

وفيه يسيطر المنوم على الوسيط بايحاءته فيغط الوسيط في النوم ، فيسأاله عما يريد فيجد الجواب حاضرا ، وقد يأمره او ينهاه فينفذ الوسيط ذلك ولو بعد صحوه ، ولابد ان يكون بين نفسين مختلفتي الطبائع ، احدهما اقوى ارادة من الاخرى ، فلا يستطيع امرؤ أن يقوم بهذه التجربة على نفسه.

(*) أحد الصحابة وكان جميل الطلعة وحسن الكلام.

(١) اصول الدين الاسلامي ص٢٣٩ والعقيدة الاسلامية ص٩٨-١٠٠.

فالتنويم المغناطيسي يقرب أمر الوحي ، فاتصال الملك بالنبي يؤثر فيه لاستعداد خاص فيهما ، ففي الملك قوة الالقاء والتأثير لانه روحاني محض ، والنبي فيه قابلية التلقي عن هذا الملك لصفاء روحانيته ، وطهارة نفسه المناسبة لطهارة الملك ، وعند تسلط الملك يتسلخ النبي عن حالته العادية فيظهر التغير عليه ، فيتلقى من الملك ، وينطبع في قلبه ما تلقاه ، حتى اذا انجلى عنه الوحي وجد ما تلقاه منقوشا على قلبه لاينساه(١) ثم اننا لم نجد ما يدفع هذا الاتصال بين الملك والنبي بدليل : ان العلم الحديث يسر لنا الأجهزة العلمية التي أدركنا بها ما كان مجهولا من قبل ، فمن هذه الاجهزة ما سجل تصادم الأشعة الكونية في الفضاء.

ومنها ما يدلنا على صوت ذباب طائر على بعد بضعة أميال ، وهذه الأجهزة الحديثة تستطيع ادراك ما لايمكننا سماعه بالطرق السمعية التقليدية.

وهذه الطاقة غير العادية للسماع لاتخص الآلات العلمية الحديثة وانما وهبها الله تعالى بعض الحيوانات.

فـ(الكلب) يستطيع ان يشم ريح الحيوان الذي مر من الطريق ، وقد أستغلت هذه الحاسة لكشف المجرمين.

وحشرة (العثة) مجنحة لو وضعتها على نافذة فستحدث صوتاً يسمعه زوجها على مسافة بعيدة جدا ، ويجيبها بطريقته الخاصة.

و(الجندب) يحك رجليه وجناحيه ويصوت بطريقة غير عادية ويسمع على بعد نصف ميل ، ولـ(أبي النطيط) قدرة خارقة فهو يسمع ويحس بالحركة التي تحدث في نصف قطرة من ذرة الهيدروجين.

وهناك أمثلة أخرى تدل على أن هناك وسائل غير مرئية لدى ذوي الحواس الخاصة ، واذا كان الأمر كذلك فلا غرابة في ادعاء النبي انه يسمع صوتا من ربه لايدركه عامة الناس ، مادام من الممكن أن توجد في هذا العالم حركات وأصوات لايسمعها الانسان ولكن تسجلها الآلات ، وتسمعها بعض الحيوانات(٢).

---

(١) الزرقاني / مناهل العرفان جـ ١ ص٥٩-٦٠وفيه أمثلة عن تجارب التنويم المغناطيسي ، والدكتور دراز/ النبأ العظيم ٧٥ -٧٦وأصول الدين الاسلامي ص٣٠٥-٣٠٨و٢٤٢-٢٤٣.

(٢) وحيد الدين خان/ الاسلام يتحدى ص٩٦-٩٧.

٤- الوحي أمر خارج عن النفس :

ان الوحي ليس من قبيل الحدس والشعور الباطني ، ودلالات النفس والفراسة التي غالبا ما تتأثر بالرياضيات الروحية والتفكير المستديم .....اي انه ليس من قبيل الوحي النفسي الذي هو الالهام الفائض من استعداد النفس العالية ، والسريرة الطاهرة (١) لأن مثل هذه لاتنشيء المعرفة التامة واليقين الكامل ، الذي لايريب فيه فلا تسمو بصاحبها الى مرتبة النبوة ، بل ان الوحي أمر طاريء زائد على الطباع البشرية .. أمر خارج عن النفس والباطن لايخضع لاي تأثير يطرا عليهما ، يتلقاه الموحي اليه من الذات العلية اما بواسطة واما بدونها(٢).

والذي يمعن النظر في كيفية الوحي وما يطرأ على النبي من ظواهر يدرك تماما ان الوحي أمر خارج عن النفس يتضح ذلك فيما يأتي :

١- جاءَ الملك الى النبي في غار حراء لاول مرة ، وأمره بالقراءة ، فزع منه النبي فزعا شديدا ، وأسرع الى بيته وفؤاده يرجف ، وبعد أن أخبر زوجه بما شاهد قال: (لقد خشيت على نفسي).

ويعاوده الوحي بعد فترة من الزمن يأمره: (قم فانذر) فيتأمل النبي في هذا الامر ، ويقول لزوجه -خديجة-: (لقد امرني جبريل ان انذر الناس فمن ذا ادعوا ومن ذا يستجيب؟).

٢- الظواهر التي تصاحب النبي حين يوحي اليه منها :

أ- يسمع النبي صوتا خفيفا او شديدا" شبهه محمد(ﷺ) بصلصلة الجرس.

جاء في مسند احمد عن عبدالله بن عمر قال: سألت النبي (ﷺ) هل تحس بالوحي ؟ قال : اسمع صلاصل ثم اسكت عند ذلك فما من مرة يوحي الي الا ظننت ان نفسي تقبض.

ب- يتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد .

ففي حديث البخاري عن عائشة قالت : (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وأن جبينه ليتفصد عرقا).

جـ- يسمع الصحابة عند وجه النبي حين الوحي دويا شديدا" كدوي النحل حين ينطلق من خليته .

---

(١) السيد محمد رشيد رضا/ الوحي المحمدي ص٦٦.
(٢) القسطلاني / ارشاد الساري جـ١ ص٦٠ ، وأصول الدين ص ٢٤٥.

ففي حديث الترمذي ، عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: (كان النبي (ﷺ) اذا انزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل).

د- يثقل جسمه عليه :

ففي حديث البخاري عن ابن عباس : (كان رسول الله (ﷺ) يعالج من التنزيل - اي القرآني لثقله عليه - شدة).

وفي زاد المعاد : يذكر حال نزول الوحي عليه : (حتى أن راحلته لتبرك به الى الارض اذا كان راكبها).

٣- الوعي الكامل والحفظ المضبوط لما انزل عليه (ﷺ) عند الوحي وبعده وعرض جبريل (عليه السلام) القرآن الكريم كل سنة على النبي ، وكان الرسول (ﷺ) في أول نزول الوحي عليه يحرك لسانه متابعاً جبريل في اثناء الوحي ، يردد ما أوحي اليه مخافة ان ينساه ، لكن الله طمأن نبيه بأن يتكفل له ، بحفظه ، فلا مسوغ لتحريك اللسان به.

قال تعالى :

﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به. ان علينا جمعه وقرآنه. فاذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم ان علينا بيانه﴾(١). **﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضي اليك وحيُه ، وقل ربِّ زدني علما﴾**(٢).

٤- انقطاع الوحي وابطاؤه على النبي ، وهو يتحرق شوقا إليه فقد انقطع الوحي بعد نزول جبريل بآيات (اقرأ .. ثلاثة اعوام (وانقطع شهرا بعد حديث (الافك) والنبي في اشد الشوق اليه ليعرف الحقيقة. ولم ينزل الوحي ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا بشأن تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة مع حبه التحويل.

٥- من اسباب نزول القرآن الكريم ان النبي (ﷺ) كان يسأل في بعض الاحيان فلا يملك للسؤال جوابا ، فيسكت وقد يستمر مدة طويلة .. فاذا نزلت الآية دعا بالسائل وتلا عليه ما نزل من القرآن بشأن سؤاله. وكان يجيب احيانا فيرد الوحي بخلاف جوابه وفيه بعض العتاب او الملامة.

---

(١) القيامة /١٦-١٩.
(٢) طه/١١٤.

هذه الظواهر وغيرها كثير تدل على ان الوحي مستقل على النفس ، ثم ان مضامين الوحي من الحقائق التاريخية والكونية والنظريات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والعلمية والغيبية ، وغيرها مما يعالج جوانب الحياة المختلفة تشهد بان هذا الأمي في بيئته البسيطة ،وواقعه المعروف ،لايستطيع ان يأتي بمثل هذه المضامين من نفسه وفكره ، فلا بد اذن من مصدر خارج عن ذات النبي هو الوحي المنزل عليه من الله تعالى(١)

٥- وقوع الوحي :

الوحي ممكن عقلا ، وواقع فعلا ، ودليل وقوعه في حق من شاهد النبي هو المعجزة التي تؤيد دعواه ، واما من لم يشاهد النبي، ولم ير معجزته فالدليل عنده هو التواتر ، وهو ان ينقل الخبر جمع عن جمع ، لايمكن تواطؤهم على الكذب.

ولنضرب لذلك مثلا: من عاصر نبينا محمد(ﷺ) من الصحابة ، فدليل الوقوع في حقه هو مشاهدة المعجزات ، التي ايدت دعوى الرسالة ، اما من لم يدرك عصر الرسول ، ممن أتوا بعد ذلك ، فالدليل في حقهم هو ما تواتر لديهم بطريق النقل الصحيح من ان الرسول محمدا (ﷺ) اوحي اليه ، وظهرت على يديه المعجزات تأييدا لدعوى الرسالة(٢).

المطلب الثالث
المعجزة

١- تعريف المعجزة:

المعجزة في اللغة ، مأخوذة من العجز ، وهو عدم القدرة على فعل الشيء وفي الاصطلاح ، أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة تصديقا له في دعواه ، مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة(٣). والتعبير بلفظ الامر يشمل :

---

(١) أصول الدين الاسلامي ص٤٠-٢٦١.
(٢) الشيخ محمد عبده/ رسالة التوحيد ص١١٥.
(٣) العقيدة الاسلامية ص١٠٧.

أ- الفعل ، كانشقاق القمر ، ونبع الماء.
ب- الترك ، كعدم احراق النار لسيدنا ابراهيم.
جـ- القول ، كالقرآن الكريم.

٢- شروط المعجزة :

ذكر جمهور علماء العقائد للمعجزة عدة شروط أهمها :

١- ان تكون المعجزة أمرا خارقا للعادة ، لان غير الخارق لايحصل به الاعجاز ، وذلك كطلوع الشمس من مشرقها . وظهور الازهار عند قدوم الربيع ، فلو ادعى انسان النبوة . وقال : معجزتي ظهور الأزهار في الربيع فلا تصدق دعواه .

٢- ان يكون الامر المعجزمما تتعذر معارضته ، فلو لم تتعذر معارضته ، لما كان أمرا خارقا" للعادة ، مثل :
أ- السحر : وهو قواعد تكتسب بالتعليم .
ب- الكهانة : وهي التنبؤ بالمغيبات لا عن دليل .
جـ- الشعبذة او الشعوذة : وهي خفة في اليد يرى أن لها حقيقة ، ولا حقيقة لها ، كما يقع للحواة .

٣- أن يظهر الامر المعجز على يد مدعي النبو ، ليكون دليلا على صحة ما ادعاه ، ودعاه ، ودعا اليه من عقائد وشرائع . فخرج بذلك :
أ- الكرامة : وهي أمر خارق للعادة يظهر على يد ولي ، غير مقترن بدعوى النبوة .
ب- المعونة: وهي ما يظهر على يد آحاد الناس تخليصا لهم من شدة .
جـ- الاستدراج : وهو ما يظهر على يد فاسق ، أو كافر خديعة أو مكرا به ، أي استدراجا لهم وزيادة غيهم ، حتى يأتيهم أمر الله وهم غافلون.

٤- ان يكون الامر المعجز موافقا لدعوى النبوة ، فلو قال مدعى النبوة : آية صدقي ، احياء الموتى ، فظهر الامر على خلاف دعواه ، بان أنشق القمر، فلا يكون هذا دليلا على صدقه ، لأنه جاء خلاف ما حدده فيكون معجزا".

٥- ان يكون الامر المعجز مصدقا لمدعى النبوة في دعواه ، فلو قال المدعي : آية صدقي نطق هذا الحجر مؤيدا ومصدقا لي ، فنطق مكذبا له ، لم يكن هذا الامر معجزا.

٦- ان يكون الامر المعجز مقاربا" لدعوى النبوة ، أو متأخرا" عنها بزمن يسير يعتاد مثله ، فلو ظهر الامر المعجز قبل دعوى النبوة لم يكن معجزة ، وذلك مثل : كلام عيسى في المهد وشق صدر نبينا وانما يكون (ارهاصا") (١) إن ظهر على يد النبي قبل نبوته ، وكرامة ان ظهر على يد ولي.

هذه هي اهم شروط المعجزة كما ذكرتها كتب العقائد ، فاذا أدعى انسان النبوة ، واظهر المعجزة . فهي دليل صدقة ، وآية نبوته ، كما انها دليل تصديق الله له فكأنها - على ما قال (إمام الحرمين) بمنزلة أن يقول الله: **"جعلته رسولا" أو أنشأتُ الرسالة فيه"**(٢) او **"صدق عبدي في كل مايبلغ عني"**.

ووجه دلالتها على صدق الدعوى ، ان الله يخلق عقب ظهورها العلم الضروري بصدق الرسول في نفس من يريد لهم الهداية ، أما من لم يرد لهم ذلك ، فلن يصدقوا ولو جاءهم مدعي النبوة بأدلة متعددة محسوسة(٣).

---

(١) الارهاص : مشتق من أرهصت الحائط اي اسسته ، وهو ماكان قبل النبوة من الخوارق تأسيسا لها .

(٢) التفتازاني/ شرح المقاصد جـ ٢ص١٧٩وأصول الدين الاسلامي ص ٢٦٩-٢٧٤.

(٣) العقيدة الاسلامية ص١١٠.

المبحث الثالث عشر

النبوة الخاصة

نبوة محمد (ﷺ)

وفيه مطالب

١- دلائل نبـوته

٢- شواهد نبوته

٣- ختـم النبـوة

المبحث الثالث عشر
النبوة الخاصة

المطلب الاول
دلائل نبوته – عليه السلام –

تقدم إن اثبات النبوة لايكون الا باجتماع أمرين :

أولهما : ادعاء النبوة.
وثانيهما : اظهار المعجزة.
فكل من ادعى النبوة واظهر المعجزة فهو نبي.
وهذان الامران يثبتان نبوة محمد (ﷺ) بل هما يشكلان المبدأ الاول في اثباتهما ، وهناك امور أخرى تعد شواهد مؤكدة ومقررة لنبوته (ﷺ).
واليك توضيح ذلك :
اولا": ادعاء النبوة تواتر عن النبي (ﷺ) أنه ادعى النبوة بلا خلاف من احد تواترا الحقه بالعيان والمشاهدة .
ثانيا": أظهار المعجزة. وقد ثبت عن الرسول (ﷺ) انه أظهر المعجزة.

معجزات الرسول محمد (ﷺ)

معجزاته نوعان :
النوع الاول : كمعجزات الرسل والانبياء السابقين قصيرة الأمد ، زالت بزوال أيامها ، وبموت من شاهدها . والمتطلع اليها لايجدها الا في الاخبار كمعجزات موسى عليه السلام من قلب العصا حية ، ومعجزات عيسى عليه السلام كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى .. ومن هذه المعجزات ما ثبت بالقرآن الكريم ، او نقل الينا نقلا متواترا" مثل :

أ- الاسراء الى بيت المقدس الثابت بالقرآن الكريم :

﴿**سبحان الذي اسرى بعبده ليلا" من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى**﴾(١) وبالاحاديث الصحيحة الكثيرة. والمعراج الى السماء الثابت بالاحاديث الصحيحة ايضا.

ب- انشقاق القمر ، الثابت بالقرآن الكريم :

﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر. وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**﴾(٢) والاحاديث في هذا كثيرة من طرق عدة في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما.

جـ- نبع الماء من بين اصابعه الشريفة حين التمس الناس مع الرسول (ﷺ) ماء للوضوء فلم يجدوه ، فدعا باناء فيه ماء فوضع الرسول الكريم يده في ذلك الاناء ، فنبع الماء من تحت اصابعه فتوضأ الناس جميعا"(٣).

د- ابراء المريض بلمسه. كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنن في وقائع كثيرة.

هـ- اخباره بحوادث كثيرة قبل وقوعها منها :

١- قوله (ﷺ): (يوشك الامم ان تداعى عليكم كما تداعى الاكلة الى قصعتها) فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ؟ قال (بل انتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن) قيل وما الوهن يارسول الله؟ قال : (حب الدنيا وكراهية الموت)(٤). والذي ينظر الى وضع المسلمين منذ أن اضمحل سلطانهم في الارض يجد طمع العالم والكيد للمسلمين.

٢- وقوله : (ليأتين على الناس زمان لايبقى منهم احد الا اكل الربا فمن لم يأكله اصابه من غباره) ، ومن المعلوم ان الحياة الاقتصادية الحاضرة تقوم على الربا بالمصارف وغيرها .

---

(١) الاسراء/١.
(٢) القمر/١-٢.
(٣) وقد تكررت هذه المعجزة كما هو ثابت في صحيحي البخاري ومسلم .
(٤) أخرجه أبو داود والبيهقي .

٣-وقوله : (صنفان من امتي من اهل النار لم ارهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت)(١).

والناظر في امة الاسلام بعد قرونها الاولى ، يجد الصنف الاول من شيوع الظلم ، وايذاء الناس. ويجد بعد ذلك الصورة الدقيقة للنساء في عريهن. وفتنهن التي رسمها الحديث.

النوع الثاني : وهو خالد خلود الدهر ماثل في كل حين ، الا وهو القرآن الكريم. والقرآن اسم علم على كلام الله المنزل على النبي محمد(ﷺ) وقيل هو: مصدر (قرأ) كالغفران مصدر غفر. هذا في اللغة ، وفي الاصلاح: هو كلام الله المنزل على النبي محمد(ﷺ) المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه بالتواتر ، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس ،المتعبد بتلاوته)(٢).

والقرآن الكريم كتاب تشريع ، ودستور هداية للناس جميعا":

﴿**هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**﴾(٣).

والقرآن الكريم معجز ، أعجز البشر عن أن يأتوا بمثله.

---

(١) رواه مسلم .

(٢) عبدالوهاب خلاف / علم أصول الفقة ص٢٢.

(٣) البقرة/١٨٥.

اعجاز القرآن
وجوه اعجاز القرآن

الاعجاز : اثبات العجز للغير.

يقال اعجز القرآن البشر. أي اثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله. ولا يتحقق الاعجاز الا بأمور ثلاثة :

١- التحدي وهو طلب المنازلة والمعارضة.

٢- وجود المقتضي الذي يدفع المتحدي الى المنازلة.

٣- عدم وجود مانع من المنازلة لدى من تحدوا به وقد توافرت هذه الشروط الثلاثة في إعجاز القرآن.

فحينما انكر العرب على الرسول دعوته وادعوا بأن القرآن من عنده وليس من عند الله ، تحداهم الرسول في عبارة استفزازية - وهم أرباب الفصاحة والبيان - ان يأتوا بمثله :

﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناسُ والحجارة أعدت للكافرين﴾(١).

وهناك آيات اخرى وردت في هذا المعنى نفسه ، وتدل كلها على معنى التحدي السافر والتهكم اللاذع. مثل :

﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾(٢).

اما المقتضي الذي يدفع المتحدي الى الرد على المتحدي ومنازلته فهو متوافر ايضا. ذلك ان الاسلام أتى بدين جديد أبطل به الدين القديم ، وسفه عقول الذين يتبعون الدين القديم ، وسخر منهم ومن آلهتهم.

ولم يكن هناك مانع لدى من تحداهم الاسلام. ذلك ان القرآن نزل بلسان عربي ، وباسلوب عربي. والمعروف أن العرب كانوا أهل بلاغة وفصاحة ،

---

(١) البقرة / ٢٣-٢٤.

(٢) الاسراء/٨٨.

بل كانت هذه الظاهرة من الميزات التي تميزوا بها سواء في شعرهم ام في نثرهم أم في حكمهم ومناظرتهم.

ورغم تحدي الرسول للعرب بأن يأتوا بمثل القرآن او بسورة من مثله ، ورغم قيام المقتضى لديهم ، وعدم توفر مانع يمنعهم من مواجهة ذلك التحدي فقد عجزوا عن الأتيان بمثله(١).

وتحدي القرآن الكريم ثابت قديما وحديثا ومستقبلا للخصوم الذين يطعنون به ويشككون فيه.

القرآن الكريم معجز من وجوه متعددة :(٢).

١ - فصاحة الفاظه وبلاغة عباراته وعجيب نظمه.

فألفاظ القرآن الكريم فصيحة لاتنبو عن السمع ، وعباراته مطابقة لمقتضى الحال في ارفع مستوى من البلاغة يحس بطلاوته ورقته وروعته من له ادنى ذوق باللغة العربية . وهذا واضح في تشبيهاته واستعاراته ومجازاته ومختلف أساليبه.

وهو غريب على العرب في اسلوبه ، اذ ليس لهم كلام مشتمل على هذه الفصاحة ، والتصرف البديع والمعاني اللطيفة ، والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة.

والذي يتتبع تاريخ اللغات يجد انها متطورة تدريجيا" ، أما اللغة العربية فلم يحدث لها تطور تدريجي حين جاء القرآن ، بل بعض ما يشبه الانفجار المباغت ، فطفر باللغة من مرحلة اللهجة الجاهلية ، الى لغة منظمة فنيا مع انه لم يستعمل مطلقا الفاظا اجنبية عن لهجة الحجاز . فكأنه استحضر ثروته اللفظية الخاصة ، وأنشأها بطريقة غريبة فأحدث انقلابا هائلا في الادب العربي بتغييره الأداة الفنية في التغيير ، فخلق من الوحدات الادبية

---

(١) الدكتور صوفي ابو طالب / بين الشريعة الاسلامية والقانون الروماني ص٣١وأصول الدين الاسلامي ص٢٨٣-٢٨٦.

(٢) انظر: الزرقاني/ مناهل عرفان جـ٢ ص٢٢٨، والسيوطي/ الاتقان في علوم القرآن جـ٢ص١١٦-١٢٥، ومحمد عبدالله دراز/النبأ العظيم ص٨٥، والتفتازاني / المقاصد وشرحه جـ ٢ص١٨٣، وعضد الدين الايجي / شرح المواقف ص٥٥٧ واصول الدين الاسلامي ص٢٨٦-٣٠٢.

واللغوية فصلاً تاما بين اللغة الجاهلية واللغة الاسلامية(١).

٢- تأثيره وسلطانه على القلوب واخذه بمجامع الأفئدة

فقارىء القرآن لايمله ، وسامعه لايمجه ، بل الاكثار من تلاوته يزيده حلاوة ، وترديده يوجب له محبة ، فاذا قرع السمع خلص له الى القلب من اللذة والحلاوة ما تنشرح له الصدور وتستبشر به النفوس(٢). ومن مظاهر ذلك:

أ- كان ابو بكر (رضي الله عنه) حين يقرأ القرآن لايملك عينيه من البكاء ، فكان يجتمع الاولاد وألنساء يسمعون كلامه ، ويلتذون به ، ويهتزون له. فحمل ذلك قريشاً على منعه من الصلاة في المسجد الحرام ، ثم من داره ، كما روى ذلك البخاري في الهجرة (٣).

ب- وذكر ابو عبيدة ان أعرابيا سمع رجلا يقرأ : **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** (٤) فسجد. وقال : سجدت لفصاحته .

جـ- وسمع آخر رجلا يقرأ : **فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا** (٥). فقال: اشهد أن مخلوقا لايقدر عمل مثل هذا الكلام(٦).

د- أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس :

ان الوليد بن المغيرة جاء النبي (ﷺ) قرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: ياعم أن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه ، فانك أتيت محمداً فتتعرض لما قبله قال : لقد علمت قريش اني من اكثرها مالا قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك انك منكر له وانك كاره له قال: وماذا اقول فوالله مافيكم رجل اعلم بالشعر مني ولابرجزه ولابقصيده مني .. ولنه مايشبه الذي يقول شيئاً من هذا ووالله أن لقوله لحلاوة وأن عليه لطلاوة ، وانه لمنير اعلاه ، مشرق أسفله،وانه ليعلو وما يعلى،وأنه ليحطم ماتحته.

---

(١) مالك بن نبي/ الظاهرة القرآنية ص٢٣٢-٢٣٤وانظر : الدكتور عمر ملا حويش تطور دراسات اعجاز القرآن واثرها في البلاغة العربية .
(٢) القاضي عياض /الشفا جـ ١ص٢٧٣والسيوطي / الاتقان جـ ٢ص١٢٣.
(٣) السيد محمد رشيد رضا/ الوحي المحمدي ص١١٩.
(٤) الحجر/٩٤.
(٥) يوسف / ٨٠
(٦) القاضي عياض / الشفا جـ ١ص٢٦٢ والدكتور حويش/ تطور دراسات اعجاز القرآن ص٢١٣.

قال : لايرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال : فدعني حتى أفكر ، فلما فكر قال هذا سحر يؤثر في غيره . فنزلت :

﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾(١) اسناده صحيح على شرط البخاري(٢).

فالوليد يقر بهزة القرآن وجماله وحلاوته وطلاوته ، لكن كبرياءه ، وعناده وعصبيته صدته عن الاعتراف بالحق.

هـ- اسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

وملخص رواية ابن أسحاق في السيرة هو: خرج عمر متوشحا سيفه يريد رسول الله (ﷺ) وأصحابه الذين اجتمعوا معه في بيت قرب الصفا ، ولقيه في الطريق نعيم ابن عبدالله فسأله عن وجهته فأخبره بغرضه ، فحذره بني عبد مناف ، ودعاه أن يرجع الى بعض أهله (ختنه سعيد بن عمرو ، واخته فاطمة بنت الخطاب- زوج سعيد-) فقد صبئا عن دينهما فذهب اليهما عمر (رضي الله عنه) فسمع خباب بن الارت ، يتلو عليهما القرآن. فاقتحم الباب ، وبطش بختنه سعيد وشبح اخته فاطمة ، ثم اخذ الصحيفة بعد حوار ، وفيها سورة طه ، فلما قرأ صدرا" منها قال :(ما احسن هذا الكلام واكرمه) ثم ذهب الى النبي فاعلن اسلامه فكبر النبي (ﷺ) تكبيرة عرف اهل البيت من أصحابه أن عمر قد أسلم.

وفي رواية اخرى ان عمرً قال: (فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام).

وهناك روايات أخرى وكلها تتفق في ان عمر (رضي الله عنه) قد اسلم حين سمع بعض آيات القرآن الكريم من سورة طه تتلى(٣).

٣- اخباره بوقائع غيبية-لايعلمها الا الله-في الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

أ- فقد اخبر عن غيب الماضي ، حيث قص علينا قصص الأنبياء السابقين مثل آدم ونوح وغيرهما.

---

(١) المدثر/١١.
(٢) السيوطي / لباب النقول في اسباب النزول أية المدثر رقم ١١.
(٣) سيرة ابن هشام في قصة اسلام عمر.

قال تعالى بعد قصة نوح :

﴿تلكَ مِنْ انباء الغَيب نوُحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قَومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبةَ للمتقين﴾(١).

وفصل قصة يوسف عليه السلام ثم قال :

﴿ذلك من انباء الغَيب نوُحيه اليك وما كنت لديهم اذ جمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾(٢).

وهذه قصص حقيقية ، وردت في العهد الجديد حتى جادل الرسول اليهود فيها وصدقوه كما في قصة يوسف حتى انهم بهروا بما جاء به لانهم يعلمون أنه لم يكن على صلة بكتبهم وبما عندهم من اخبار. وأكدت صحة اخبار القرآن كتب التاريخ القديم والحفريات الحديثة.

ب- وأخبر عن غيب الحاضر ، فحدث عن الملائكة والجن وعن الجنة والنار وما يتصل بالله من صفات .

واوضح حقيقة مسجد الضرار الذي بناه المنافقون ، وأرادوا به تفريق المؤمنين ، والايقاع بينهم. بقوله :

﴿والذين اتخذوا مَسجدا" ضرارا" وكُفرا" وتَفريقا" بَينَ المُؤمنين ، وارصادا" لمَنْ حاربَ اللّه ورَسولَه مِنْ قَبل ، وليحلفن ان اردنا الا الحُسنى والله يشهد انهم لكاذبون﴾(٣).

جـ- واخبر عن غيب المستقبل ، وهو كثير جدا ، من مثل:

١- اخباره بأن المسلمين سيدخلون مكة. فقد رأى رسول الله (ﷺ) في المنام قبل خروجه الى الحديبية ، انه واصحابه دخلوا مكة آمنين ، وقد حلقوا وقصروا ، فقص رؤياه على اصحابه ، فاستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا أن رؤيا رسول الله(ﷺ) حق ، فلما تأخر ذلك ، قال بعض المنافقين : والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام ، فانزل الله: ﴿لَقَد صَدق اللّه رَسوُله الرُؤيا بالحَق لتدخلن المَسجد الحرام ان شاء الله آمنين مُحلقين رؤوسَكم ومقصرين لاتخافون﴾(٤). فاعلمهم انهم

(١) هود/٤٩.
(٢) يوسف/١٠٢.
(٣) التوبة /١٠٧ .
(٤) الفتح/٢٧.

سيدخلون مكة في غير هذا العام وان رؤياه حق[1].

٢- اخباره عن غلبة الروم ، وكانوا مغلوبين للفرس يومئذ ، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم ، لانهم واياهم اهل كتاب ، وذلك في قوله: ﴿**الم غلبت الروم. في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين**﴾[2]. وقد انتصرت الروم فعلا على الفرس ، وصارت لهم الغلبة في مطلع العام السابع من نزول هذه الآيات .

٣-اخباره بأن الله عاصم نبيه فلا يمكن اغتياله مهما دبر له اعداؤه من مكائد ، وحرصوا على التخلص منه وقتله ، قال تعالى :

﴿**والله يعصمك من الناس**﴾[3].

ففي صحيح الترمذي أن عائشة (رضي الله عنها) قالت : كان النبي (ﷺ) يحرس حتى نزلت هذه الآية .. ، فأخرج رسول الله رأسه من القبة فقال لهم : (يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله).

٤- اخباره بانتصار المسلمين وهزيمة المشركين وذلك قبل تشريع الجهاد بسنوات في قوله : (سيهزم الجمع ويولون الدبر)[4] حتى أن عمر (رضي الله عنه) فيما روى ابن أبي حاتم وابن مردويه ، جعل يقول حين نزلت هذه الآية : اي جمع هذا فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله (ﷺ) يقولها.

هذه الغيبيات التي هي قليل من كثير مما ذكره القرآن. وردت انباؤها بشكل قاطع لاتردد فيه ، وقد حدثتنا الايام والوقائع عن صدقها تماما. فهل جاء بها هذا الرجل الامي من عند نفسه ؟

انه لابد ان يكون قد استقاها من مصدر علمي وثيق لايقبل الخطأ ألا وهو الوحي من الله تعالى العالم بكل شيء ، ولا يمكن لعاقل أن يحكم بانها من عبقرية هذا الرجل لان المتنبيء يتخذ من تجاربه الماضيه مصباحا يكشف بضوئه بعض خطوات من مجرى الحوادث المقبلة ، ثم يصدر حكمه بكل تحفظ وحذر ، ولايمكنه ان يبت بما يقول لانه عندئذ يكون احد رجلين :

---

(١) المائدة/ ٦٧.
(٢) القمر/ ٤٥.
(٣) تفسير القرطبي جـ ٩ص٦١٠٩.
(٤) الروم/١-٤.

- اما رجل مجازف لايبالي بما يقول صدقا أو كذبا وهو شأن العرافيز والمنجمين.
- واما رجل اتخذ عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وهي سنة الانبياء والمرسلين .

والنبوءات التي وردت في القرآن تدل دلالة قاطعة على أنها من عند الله تعالى على لسان رسوله الكريم ، ولايمكن ان تكون من قبيل المجازفة الواردة على السنة العرافين(١).

٤- حقائقه العلمية التي جاء العلم الحديث يؤكدها.

فقد شد القرآن الكريم أانظار الناس الى الكون ونواميسه ، والى ما فيه من المخلوقات تأكيدا على أنه من الله تعالى فما على المرء العاقل الا الامتثال له. من ذلك :

أ- كان علماء الفلك منذ قرون طويلة قبل الميلاد الى ظهور المراصد الفلكية قد انقسموا الى فريقين :

- فريق يرى ان الارض ثابتة وهي مركز العالم والسيارات تدور حولها.
- وفريق يرى العكس ، اي ان الشمس ثابت في نظرته وهي أن الاجرام السماوية متحركة سابحة في افلاكها قال تعالى:

﴿والشمس تَجري لمستَقر لها ذلك تقدير العَزيز العَليم. والقَمَرَ قدرناه مَنازلَ حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشَمس يَنبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يَسبَحُون﴾(٢).

فجاءت المراصد الحديثة تصدق نظرة القرآن الكريم وهي أن كل جرم سابح في الفضاء غير ثابت.

ب- قوله تعالى :

﴿والسَماء بَنيناها بأيد وانا لموسعُون﴾(٣) يدل على ان الكون في توسع مستمر ، يقول السير (**جيمس جينز**) : (مقدار هذا التمدد بنحو مائة

(١) اصول الدين الاسلامي ص٢٩٧.
(٢) يس/ ٣٨-٤٠.
(٣) الذاريات /٤٧.

وخمسة أميال في الثانية لكل بعد قدره مليون سنة ضوئية ، وان حجم الفضاء العالمي الان يبلغ نحو عشرة أمثال حجمه منذ بدأ تمدده ، اي ان كل بعد من ابعاده الثلاثة قد زاد قليلا على ضعف قدره الاصلي)[1].

ومسألة اتساعه أصبحت من مسلمات الأمور الان ، وهي التي هالت (انشتاين) ، واكتشف (هابل) عالم الطبيعة أن الكواكب السديمية تبتعد عن سديمنا. واستنبط عالم الرياضة البلجيكي (لومتر) من ذلك نظرية امتداد الكون

جـ- قوله تعالى :

﴿**والجبالَ أوتادا**﴾[2].

القرآن الكريم يرينا هذه الحقيقة فتصرح بها ادق النظريات الجيولوجية التي تقول: بأن للجبال جذورا :.وتدية في الارض يعدل امتدادها ضعفي ارتفاع الجبل عن الارض.

د- قوله تعالى :

﴿**أو لَمْ يَرَ الذين كَفَرُوا ان السماواتِ والارضِ كانتا رتقا ففَتقناهما**﴾[3].

الأية تصرح بأن السماوات والارض كانتا كتلة واحدة فجزئت الى هذه الاجزاء . والنظريات الحديثة تذكر أن الأجرام السماوية كانت في الاصل سديما واحدا.

هـ- قوله تعالى :

﴿**فمَن يرد اللّه ان يَهديه يشرَح صَدرَهُ للاسلام ومَن يرد ان يضله يَجعل صَدره ضَيقا" حرجا" كانما يَصعَد فى السماء**﴾[4].

تصرح الأية الكريمة بأن الذي يرتفع في السماء يشعر بضيق الصدر وصعوبة التنفس ، ومنذ اكتشاف الطبقات الجوية العالية بفضل الطائرة ومركبات الفضاء.. رأى العلماء أن الاوكسجين ينقص في تلك الطبقات فيؤدي الى الضيق ، ولذلك يستعمل الطيارون ورواد الفضاء أجهزة التنفس الصناعي تفاديا لذلك الضيق.

---

(١) جنفي احمد/ التفسير العلمي للأيات الكونية في القرآن ص٦٩.
(٢) النبأ / ٧
(٣) الانبياء/ ٣٠.
(٤)الانعام/١٢٥.

هذه الحقائق العلمية وغيرها كثير مما جاء به القران الكريم ، وبنعه النبي (ﷺ) وهو رجل أمي نشأ في بيئة أمية - تعتبر معالم وضيئة للفكر العلمي ولم يكن الناس - في مختلف انحاء العالم - على علم بها ، الى ان ظهرت أدوات العلم الحديث من أجهزة ومختبرات ومراصد فلكية .. فاذا بها تقرر حقائق القرآن الكريم ناصعة لا لبس فيها ولا غموض يوما بعد يوم. ولم يكن القرآن الكريم معجزا لما فيه من الشذرات العلمية التي ذكرنا امثلة منها فحسب ، بل يتجلى اعجازه في أنه لم يعارض ما استقر عليه العلم، ولم ينكر ما فيه من حقائق بعد أن استعرضنا دلائل نبوته (ﷺ).

المطلب الثاني
شواهد نبوته (ﷺ)

نعززها ونؤكدها باستعراض اهم الشواهد على نبوته(ﷺ).

الشاهد الاول

ما اجتمع فيه من الشمائل والاوصاف ، سواء كان ذلك قبل النبوة أو حالها او بعدها ، من مثل:

أ- أوصافه الشريفة ومحاسنه الرفيعة واخلاقه الحميدة. كالصدق والامانة ، فلم يكذب ، ولم يغش ، ولم يخن حتى وسم بالصادق الامين ، حيث كانوا يأتمنونه على امو الهم ، حتى قال النضر بن الحارث لقريش: (قد كان محمد فيكم غلاما" حدثا اصدقكم حديثا واعظمكم أمانة ، حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم قلتم أنه ساحر لا والله ما هو بساحر(١).

والشفقة : فلم يؤذا احد بيده أو بلسانه ، فكان يتألم لما يراه من قومه من نهب وسلب وقتل ، وكان يسعى للاصلاح بين المتخاصمين ، وكان رحيما رحيما رؤوفا يشاطر المصابين آلامهم. وينصر الناس ، ويطعم الجياع.

---

(١) القاضي عياض الشفا / ج١ ص١٣٥ ورحمة الله اظهار الحق ج٢ ص ٥٢٧.

جاء في حديث البخاري حين طمأنته خديجة بعد رعبه من نزول جبريل ، قالت: (انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق).

والسخاء : فكان مضيافا كريما. والصبر على البلاء خاصة بعد النبوة. والزهد والتواضع ، والحياء ، والنظافة والهندام الجميل.

ب- هذا مع صفاء نفسه من الحقد والأنانية والشرك فكان يكره عبادة الاصنام مع ان بيئة نشأت على عبادتها ، فلم يحلف بها قط(١).

ولا عجب في ذلك كله فهو ممن اصطفاهم الله للنبوة والرسالة ، وجعلهم قدوة وأسوة للبشرية. ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ (٢).

الشاهد الثاني

ما اشتملت عليه شريعته من امور تتعلق بالعقائد والاخلاق ، والاحكام العامة وغيرها ، من دقائق التشريع والحكمة وما فيها من الضبط والعدل والمرونة مما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان ، مع كونه أميا لم يكن يعرف القراءة والكتابة. فهي خير شاهد على انه لم يأت بما أتى من عند نفسه ، وانما من لدن عليم خبير أوحى بها اليه ليبلغها للناس.

الشاهد الثالث

ان النبي محمدا (ﷺ) مع فقره وقلة أنصاره وضعفهم قد حارب الشرك وأهله ، وسخر من عقائدهم ، وسفه احلامهم وأطاح بهم ، ونشر دينه في الآفاق فانحسرت امامه جميع الأديان في مدة وجيزة ، ولم يستطع اعداد دينه على كثرتهم في العدد والعدة وعلى تربصهم به وبأتباعه أن ينالوا منه أو يقدروا عليه(٣).

---

(١) أصول الدين ص٣٠٢-٣٠٤.
(٢) الاحزاب/٢١.
(٣) أصول الدين ص٣٠٥-٣٠٨.

الشاهد الرابع

البشارات الواردة بحقه في الكتب السماوية السابقة

﴿الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا" عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون ﴾(١).

ورد في الكتب السماوية السابقة نبوءات تتصل بظهور الرسول الكريم محمد(ﷺ) ، وكانت ذائعة بين الامم. ولعل هذه النبوءات نفسها هي التي أغرت اليهود والنصارى بالاستقرار في بلاد العرب ، ذلك بأن أرض النبي الموعود كانت قد عينت في الكتب المقدسة باسمها تعيينا لايتحمل اللبس. وسنكتفي في هذا المبحث بالاشارة الى بعض تلكم النبوءات (٢).

وقد أكد القرآن الكريم أن ظهور الرسول محمد (ﷺ) قد بشر به جميع الأنبياء السابقين الذين اخذوا على اممهم ميثاق بان يؤمنوا به وينصروه.

والسمة المميزة للرسول الموعود - كما بشّروا - هي أنه سوف يجيء مصدقا لجميع الانبياء والرسول :

﴿واذ أخذ اللّه ميثاقَ النبيين لما آتيتكم منْ كتاب وحكمة ، ثُمَ جاءكُم رَسولٌ مصدق لما مَعَكُم لتؤمنن به ولتنصرنه. قال : اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا : اقررنا. قال : **فاشهدوا وانا مَعَكُم من الشاهدين** ﴾(٣).

ويؤكد القرآن الكريم أن الكتب السماوية كلها اشتملت على نبوءات عن مجيء الرسول محمد (ﷺ) **وانهُ لفي زُبُرْ الأولين** (٤).

وهذا التوكيد القرآني مؤيد تأييدا كافيا برواية مماثلة وردت في العهد الجُديد .. (ذاك الذي يجب ان تحتفظ به السماء الى ازمنة التجديد الشامل ،

---

(١) الاعراف/ ١٥٧.

(٢) انظر : محمد علي / حياة محمد ورسالته ص٤١-٥٧، ورحمة الله الهندي / اظهار الحق جـ ٢ص ٢٢٠-٢٨٣ اصول الدين الاسلامي ص ٣٠٨-٣٢٢.

(٣) آل عمران /٨١.

(٤) الشعراء /١٩٦.

الأزمنة التي أوحاها الله الى أنبيائه الأطهار. فلقد قال موسى : سيبعث الله ربنا من أخوتكم نبيا مثلي ، فاستمعوا له في جميع ما يقول لكم)(١).

والذي يبدو أن الارادة الالهية قد شاءت ان تبعث رسولا مستقلا لاصلاح كل أمة ، في العصور السالفة ، عندما كانت الأمم المختلفة القاطنة هذا الكوكب في عزلة مطلقة احداها عن الأخرى وعندما لم تكن وسائط النقل ووسائل المواصلات الحديثة قد وجدت بعد ..

﴿وان من أمة الا خلا فيها نَذير﴾(٢).

ثم انه لكي تصهر الأنظمة الدينية المختلفة في نظام واحد يحتويها جميعا ، ولكي تصهر الانسانية في اخوة كونية ، شاءت أن تبعث نبيا يحمل رسالة الى الجنس البشري كله.. وهكذا ففي الوقت الذي أبلغ نبأ هذا الرسول الأممي كلا من الرسل السابقين ، أمر هو بأن يشهد بصدق رسالات الانبياء السابقين حيثما بعثوا وفي أي وقت بعثوا ، في أرجاء العالم كله. والرسول الكريم محمد هو الذي ينطبق عليه هذا الوصف ، فقد فرض على أتباعه- في صلب العقيدة- ان يؤمنوا بجميع انبياء الله ورسله ، اضافة الى الأيمان به هو :

﴿ذلكَ الكِتابُ لارَيبَ فيهِ هُدى للمُتَقين الذينَ يُؤمنوُن بالغيبِ ويُقيمونَ الصَلاة ومما رَزقناهُم يُنفِقون ، والذين يُؤمِنُون بما انزلَ اليكَ ومَا انزلَ من قَبلِك وبالآخرة هُم يوقنون﴾(٣).

ورغم ما طرأ على الكتب السماوية السابقة من تصحيف وتحريف فاننا نجد في الكتابين المتوالين اليوم وهما (العهد القديم) و(العهد الجديد) بعض النبوءات عن ظهور النبي الموعود ، تلك النبوءات التي لفت القرآن الكريم النظر اليها.

منها : ﴿اقيمَ لَهُم نَبيا" منْ بَينَ اخوَتهم مِثلك ، والقي كَلامي في فيه ، فيُخاطبهم بجَميع ما آمرَه به ، وأيَ انسان لَم يطع كَلامي الذي يتكلم به باسمي فاني احاسبه عليه﴾(٤).

---

(١) أعمال الرسل ٣:٢١-٢٣.
(٢) فاطر/٢٤.
(٣) البقرة/٢-٤.
(٤) العهد القديم ، سفر تثنية الاشتراع ١٨:١٩-٢٠.

والنبوءة تشير بوضوح الى الرسول محمد(ﷺ) لان أحدا" من انبيء بني اسرائيل الذين جاءوا بعد موسى وحتى مجيء عيسى (عليهم السلام) .

لم يدع أنه النبي المقصود بهذه النبوءة ، ولم يستطع أحد منهم أن يكو مثل موسى ، وانما كان قصارى همهم هو تنفيذ شريعة ليس غير.

وكان أمر هذه النبوءة معرفا لدى اليهود ، الذين انتظروا جيلا بعد جيء ظهور نبي مثل موسى. يؤيد هذا الحوار الذي دار بين يوحنا المعمدان (يحيى وأولئك النفرمن اليهود الذين وفدوا عليه يسألونه :

(من أنت؟) فاعترف غير منكر ، اعترف قال : (لست المسيح) فسألوه: (فمن أنت أذن؟ أنت ايليا؟).

فقال : (لست ايليا). (أأنت النبي؟) أجاب (لا!)(١).

وهذا الحوار يدل بوضوح على أن اليهود كانوا – قبيل ظهور المسيح يرتقبون ثلاثة انبياء مختلفين : يسوع (المسيح) وايليا الذي اعتقدوا عودته بشخصه مرة ثانية ، والنبي الذي هو مثل موسى.

وقد تحقق جانبان من هذه النبوءة في شخصي يوحنا ويسوع حيث أعلن الاول أنه بعث في روح ايليا ، وأعلن الثاني أنه المسيح ، ولم يدع أي منهما أنه النبي الموعود ، المماثل لموسى ، بل لم يعتبرهما أحد من الذين آمنوا بهما. ذلك النبي الموعود. وبظهور المسيح انقطعت سلسلة النبوة بين بني اسرائيل ، وهكذا ظلت النبوءة بشأن نبي مثل موسى غير محققة بقد تعلق الامر ببني اسرائيل ، فاذا أمعنا النظر في تاريخ النبوات لم نجد أحد غير محمد(ﷺ) أعلن أنه النبي الذي بشر موسى بظهوره ، ولم نجد كتاب غير القرآن أشار الى تحقيق النبوءة في شخص ما.

ثم ان الواقع يؤيد هذا. فقد كان موسى صاحب شريعة ، وكذلك كان محمد(ﷺ) وليس بين أنبياء بني اسرائيل الذين خلفوا موسى نبي جاء قومه بشريعة جديدة. ومن هنا كان الرسول محمد(ﷺ) بوصفه النبي الوحيد الذي أعطى الناس شريعة ، وهو وحده النبي الذي هو مثل موسى :

﴿انا ارسلنا اليكم رسولا" شاهدا"عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا﴾(٢).

وأيضا فان كلمات النبوءة تشير بوضوح الى أن النبي الموعود لن يكون من

---

(١) العهد الجديد، انجيل يوحنا١٩:١-٢٢.
(٢) المزمل/١٥.

بين الاسرائليين ، وانما سيأتي من بين اخوانهم (الاسماعيليين) ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولا" منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمةانك انت العزيز الحكيم**﴾(١).

ومنها : ﴿**اقبل الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير وتجلى من جبل فاران ، واتى من ربى القدس وعن يمينه قبس شريعة لهم**﴾(٢).

ان المجيء من سيناء يشير الى ظهور موسى (عليه السلام) والاتيان من ربي القدس يشير الى ظهور المسيح (عليه السلام) لأن الثابت أن هذين النبيين قد تلقيا النداء الالهي في هذين الموضعين أما (فاران) فهي اسم لأحد جبال مكة، و قيل هي الاسم القديم لأرض الحجاز ، حيث ظهر محمد(ﷺ) والشريعة التي قدمها للناس كافة تعرف حتى اليوم بالغراء أي المشرقة ، لانها تلقى قبسا من الضياء على مختلف شؤون الناس ، وهذا ما تشير اليه كلمات النبوءة بوضوح : (وعن يمينه قبس شريعة لهم).

وهناك نبوءات كثيرة أخرى أطلقها أنبياء بني اسرائل نكتفي منها بذكر نبوة آخرهم وهو عيسى (عليه السلام) : (واذا كنتم تحبونني ، حفظتم وصاياي ، وانا أسأل ابي فيهب لكم مؤيدا" آخر يبقى معكم الى الابد روح الحق الذي لا يستطيع العالم ان يتلقاه ، لانه لا يراه ولا يعرفه)(٣).

(ولكن المؤيد ، الروح القدس. يرسله الاب باسمي ، فيعلمكم جميع الاشياء ، ويذكركم جميع ما قلته لكم)(٤).

(غير اني اقول لكم الحق ، من الخير لكم أن أمضي ، فان لم أمض ، يأتيكم المؤيد ، أما اذا مضيت أرسله اليكم)(٥).

(لايزال لدي أشياء كثيرة أقولها لكم ولكنكم لا تطيقون الآن حملها فمتى جاء روح الحق أرشدكم الى الحق كله)(٦).

---

(١) البقرة/١٢٩.
(٢) تثنية الاشتراع٢:٣٣.
(٣) يوحنا١٥-١٤ -١٧
(٤) يوحنا١٤:٢٦
(٥) يوحنا١٦:٧
(٦) يوحنا ١٦:١٢-١٣

في كلمات النبوءة دلالة صريحة على مجيء نبي آخر بعد عيسى (فان لم أمض لايأتيكم المؤيد) أو المعزي (كما في طبعات أخرى من الانجيل ، محمد(ﷺ) هو الذي جاء بعد مضي عيسى (عليه السلام) (ومبشرا" برسول يأتي من بعدي اسمه احمد)(١).

ومن سمات شريعة النبي الموعود - كما تقررها النبوءة - الديمومة (يبقى معكم الى الأبد) فليس بعده نبي ، وهذا المعنى يقرره القرآن الكريم : ﴿**ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيئ عليما**﴾(٢). ومن سماتها ايضا الشمول والكمال (يعلمكم جميع الاشياء) وهذا ما يقرره القرآن الكريم عن رسالة محمد(ﷺ) :

﴿**اليوم اكملتُ لكُم دينَكُم واتممتُ عَليكُم نعمَتي ورَضيتُ لكُم الاسلام دينا**﴾(٣).

ثم أن النبي الموعود يدعى في النبوءة (روح الحق) وهو أمر يزكيه القرآن الكريم ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل ،ان الباطل كان زهوقا**﴾(٤).

وهكذا فان دعوات ابراهيم واسماعيل ، وبشارات موسى وعيسى وغيرهما ، قد تحققت في شخص الرسول الكريم محمد(ﷺ).

المطلب الثالث
ختم النبوة

محمد(ﷺ) خاتم الانبياء والمرسلين ، فلا نبي بعده ، بقوله تعالى :

﴿**ما كانَ محمدٌ ابا احَد مِنْ رِجالكُم ولَكن رسوُل اللّه وخاتم النبيين**﴾(٥).

ويقول الرسول الكريم : (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا" فأحسنه واجمله ، الا موضع لبنة زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال : فأنا اللبنة وانا خاتم النبيين)(٦).

---

(١) الصحف/٦
(٢) الاحزاب/٤٠
(٣) الاحزاب/٤٠.
(٤) المائدة /٣.
(٥) الاسراء/٨١.
(٦) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم .

وشريعة الله التي جاء بها محمد هي خاتمة الشرائع السماوية ، فلا شرع بعد شريعته ، حتى يرث الله الأرض وما عليها ، وهي ناسخة لجميع ما يخالفها من شرائع النبيين السابقين.

قال تعالى :

﴿اليومُ اكملتُ لَكُم دينَكُم واتممتُ عليكُم نعمتي ورَضيتُ لَكُم الاسلامَ دينا﴾(١). **﴿ومَنْ يَبتغِ غَيرَ الاسلامِ دِينا" فَلَن يُقبلَ مِنه وهوَ في الآخرة مِن الخاسرين﴾**(٢).

عالمية رسالته

كانت الرسالات السابقة مقصورة على شعب بعينه ، فقد حمل كل نبي رسالة السماء الى امة مخصومة ، او بلد مخصوص ، وكانت كل رسالة من تلكم الرسائل محدودة دائما ، أما رسالة محمد(ﷺ) فجاءت عالمية تستهدف الجنس البشري كله. قال تعالى :

﴿وما ارسلناكَ الا رَحمةً للعالمين﴾(٣). **﴿وما ارسَلناكَ الا كافة للناس بَشيرا" ونَذيرا" ، ولكنَ اكثرَ الناس لا يَعلَمونَ﴾**(٤).

﴿تَبارَكَ الذي نزلَ الفرقانَ على عبدِهِ ليكونَ للعالمينَ نَذيرا﴾(٥). **﴿قُل يا أيها الناس اني رَسولُ اللّه اليكُم جميعا﴾**(٦).

وهذا قليل من كثير مما يدل على ان الرسول الكريم قد بعث للنهوض بالجنس البشري كله ، ولتطوير الفطرة البشرية بوصفها كلا كاملا، ومن هنا كان هو القدوة الكاملة للانسانية. فمن اقتدى بمحمد(ﷺ) ، واهتدى بهديه ، فقد اقتدى بالانبياء جميعا" ، ومن انكر نبوته وحاد عن هديه. فقد انكر نبوة الانبياء جميعا.

---

(١) المائدة /٣.
(٢) آل عمران/٨٥.
(٣) الانبياء١٠٧.
(٤) سبأ /٢٨.
(٥) الفرقان/١.
(٦) الاعراف/١٥٨.

أعظم البشر

محمد(ﷺ) اكرم البشر على الله ، واعظمهم قدرا ، وأرفعهم منزلة بما امتاز به من عالمية الرسالة ، وديمومة الشريعة.

قال (ﷺ) : (اعطيت خمسا" لم يعطهن احد قبلي ، كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود...)

وأمته(ﷺ) أفضل الأمم وأرفعها منزلة عند الله مادامت تلتزم بهديه ، وتعمل على اتباع شرعه ، فتلتزم الخير وتأمر به ، وتجتنب الشر وتنهى عنه وتؤمن بالله الواحد.

قال تعالى :

﴿كُنتُمْ خيرَ امةٍ اخرجَت للناس تأمرونَ بالمعروُف وتَنهَوُن عن المُنكر وتُؤمنون باللّه﴾(١).

اصول رسالته

تقوم رسالة محمد (ﷺ) على اصلين رئيسين هما: التوحيد والنبوة. وهذا ماتصرح به كلمة الشهادة التي هي شعار الاسلام.

الأصل الاول : الايمان بالله الواحد ، ونبذ كل معبود سواه. قال تعالى: ﴿والهكم اله واحد لا اله الا هو﴾(٢). ﴿وما من اله الا الله﴾(٣). ﴿قل انما هو اله واحد ، وانني بريء مما تشركون﴾(٤). (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا" لا اله الا هو)(٥)، ان عبادة الكوكب ، والوثن والصنم ، والبقرة ، والاشخاص ، والمادة ، والعلم ، أو مظاهر الطبيعة ما هي الا اصفاد تربط الانسان الى ما صنعه بيده ، أو خاف منه ، أو رغب في خيره أو عجز عن

(١) آل عمران/١١٠.
(٢) البقرة /١٦٣.
(٣) آل عمران / ٦٢.
(٤) الانعام/ ١٩.
(٥) التوبة/٧١.

ادراك كنهه ان الاسلام لايريد لاتباعه هذه الوثنية ، وهذا الشرك فهو يدعو الى حرية الانسان ، ويسعى الى تحرير عقله وفكره من كل مايحده من الانعتاق والانطلاق.

ان الالحاد والوثنية ضياع ، وتنكر للمسؤولية ، وابتعاد عن الفطرة الانسانية. والايمان بالله الواحد انتماء والتزام وتحرر وانطلاق .. انتماء الى الحق والعدل والخير والجمال. التي هي بعض صفات الله . والتزام بعهد الفطرة الانسانية .. **واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا عن هذه غافلين او تقولوا : انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون ؟!** (١).

الاصل الثاني : الايمان بنبوة محمد (ﷺ). والايمان بنبوة محمد(ﷺ) ، والتصديق برسالته يقتضي الايمان بأنه نبي مرسل ، وأنه خاتم الانبياء والمرسلين.

كما يقتضي التصديق بكل ما جاء به وأخبر عنه ، ويستلزم وجوب طاعته في كل ماصدر عنه من قول او فعل او تقرير من الأوامر والنواهي ، واقتفاء آثاره ، وتتبع طريقته في الحياة كلها. لان طاعته من طاعة الله.

قال تعالى :

﴿**مَنْ يطع الرسول فقد اطاعَ اللّه** (٢).

﴿**وما اتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنهُ فانتهوا** (٣).

﴿**وما كانَ لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى اللّه ورسوله أمرا" أن يكون لهُم الخيرة من امرهم ، ومن يعص اللّه ورسولَه فقد ضلَّ ضلالا" مُبينا** ﴾(٤).

والايمان بنبوة محمد والتصديق برسالته ، واتباع طريقته واقتفاء أثره يستلزم الايمان بسائر انبياء الله ورسله بلا تفريق. والتصديق بما أنزل عليهم من كتب. وبأن القرآن الكريم جاء مؤيدا ومصدقا ومقوما لما سبقه من صحف وكتب ، فالمسلم الحق لايفرق بين احد من رسل الله.

---

(١) الاعراف/١٧٢-١٧٣.
(٢) النساء/٨٠.
(٣) الحشر/٧.
(٤) الاحزاب/٣٦

قال تعالى :

﴿آمن الرَسُولُ بما أنزلَ اليه من ربه والمؤمنونَ كلٌ آمن بالله وملائكتهِ وكُتبه ورُسله ، لانفرق بينَ احد من رُسله ، وقالوا سَمِعنا واطعنا غفرانك ربنا واليكَ المَصير﴾(١). والايمان بنبوة محمد والتصديق برسالته يستلزم الايمان بكل ماخبر به من غيبيات .. من جن وملائكة اخرى بما فيها من نعيم مقيم او عذاب أليم. وهذا ماتعبر عنه كلمة الشهادة (أشهد أن لااله الا الله ، وأشهد أن محمد رسول الله) التي هي شعار الاسلام وتأشيرة الدخول الى دنياه الفسيحة وعالمه الرحب(٢).

اللهم اصلح آخر هذه الامة بما أصلحت به أولها انك سميع مجيب ، وبالاجابة جدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين .

---

(١) البقرة/٣٨٥.
(٢) اصول الدين الاسلامي ٣٢٩-٣٣١.

مراجع الكتاب

١- القرآن الكريم.

٢- الكتاب المقدس.. أ- العهد القديم ب- العهد الجديد المطبعة الكاثوليكية ، بيروت.

٣- التمهيد ، للباقلاني : القاضي أبو بكر على بطبعة ونشره الأب وتشرد يوسف مكارثي اليسوعي. المطبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة ١٩٥٧م.

٤- صحيح البخاري : البخاري محمد بن اسماعيل دار أحياء التراث العربي. بيروت.

٥- النبوات / ابن تيمية : تقي الدين أبو العباس ، المطبعة المنيرية ، مصر سنة ١٣٦هـ .

٦- المقاصد وشرحه/ التفتازاني : طبعة الآستانه ، سنة ١٣٠٥هـ .

٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم الاندلسي ، طبع مكتبة المثنى ، بغداد.

٨- التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن / حنفي أحمد : دار المعارف بمصر.

٩- سنن أبي داود/ أبو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.

١٠- الاديان - دراسة تاريخية مقارنة - الأديان القديمة د. رشدي عليان وسعدون الساموك ، دار الحرية ، بغداد ، سنة ١٩٧٦م.

١١- اظهار الحق / رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي ، تحقيق عمر الدسوقي ، مطبعة الرسالة ، القاهرة سنة ١٩٦٤م.

١٢- الصابئون -حرانيين ومندائيين - د. رشدي عليان. مطبعة دار السلام ، بغداد سنة ١٩٧٧م.
١٣- أصول الدين الاسلامي ، بالاشتراك مع الاستاذ قحطان عبدالرحمن الدوري مطبعة دار الحرية بغداد سنة ١٩٧٧.
١٤- اشتقاق اسماء الله الحسنى / الزجاجي ، تحقيق د. عبدالحسين المبارك ، مطبعة النعمان سنة ١٩٧٤.
١٥- الاتقان في علوم القرآن /السيوطي : جلال الدين ، ط/٣سنة ١٩٥١.
١٦- العقائد الاسلامية/ مصطفى سابق : سيد ، دار الكتاب العربي ، بيروت.
١٧- الملل والنحل/ الشهرستاني: عبدالكريم ، تحقيق عبدالعزيز الوكيل ، مؤسسة الحلبي سنة ١٩٦٨م.

مصادر البحث

١- القرآن الكريم.

٢- احياء علوم الدين للامام حجة الاسلام الغزالي المتوفي سنة (٥٠٥)هـ الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٣- الاديان - تأليف الدكتور رشدي عليان والدكتور سعدون الساموك- الطبعة الاولى١٣٩٦ هـ -١٩٧٦م.

٤- أصول الدين الاسلامي تأليف الدكتور رشدي عليان والاستاذ قحطان عبدالرحمن الدوري -الطبعة الاولى سنة ١٩٧٧م.

٥- انوار التنزيل واسرار التأويل للبيضاوي - الطبعة الاولى سنة ١٣٥٨هـ -١٩٣٩م- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر .

٦- بستان العارفين للشيخ المحدث نصر بن محمد السمرقندي بهامش - تنبيه الغافلين - طبع مطبعة حجازي بالقاهرة .

٧- التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح -لزين الدين أحمد بن أحمد الزبيدي طبع مصطفى الحلبي بمصر سنة ١٣٤٠هـ .

٨- الجامع الصغير للامام السيوطي - مع مختصر شرح المناوي طبع دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبي - الطبعة الاولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٩- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين -لمحمد بن علان طبع سنة ١٣٤٧هـ- ١٩٢٨م بمطبعة جمعية النشر والتأليف الازهرية.

١٠- رسالة في التوحيد - تأليف المرحوم الشيخ كمال الدين الطائي مطبعة سلمان الاعظمي سنة ١٣٩٢٢هـ -١٩٧٢م بغداد.

١١- سبل السلام - شرح بلوغ المرام من أدلة الاحكام لمحمد بن أسماعيل الكحلاني الصنعاني - طبع دار احياء التراث العربي - الطبعة الرابعة - ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
١٢- شرح الامام عبدالسلام على الجوهرة في علم الكلام ومعه حاشية الامير عليه - الطبعة الثانية بالمطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٤هـ.
١٣- صحيح البخاري للامام محمد بن اسماعيل البخاري - مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده بمصر .
١٤- ضوء المعالي شرح بدء الأمالي في التوحيد - تأليف علي ابن سلطان محمد القاري طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٩هـ .
١٥- العقيدة الاسلامية والاخلاق - تأليف لجنة من اساتذة قسم العقيدة بالأزهر - الطبعة الاولى سنة ١٩٧٤ - عيسى البابي الحلبي وشركاه .
١٦- الغنية لطالبي طريق الحق للشيخ عبدالقادر الجيلاني الحسني - الطبعة الثالثة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م - مطبعة الحلبي بمصر.
١٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل للامام محمد بن عمر الزمخشري .
١٨- المدخل في فقه القرآن تأليف فرج توفيق الوليد - مطبعة الرسالة ببغداد سنة ١٩٧٦م.
١٩- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبدالباقي .
٢٠- المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج مافي الاحياء من الاخبار للعلامة زين الدين بن الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي - مطبوع بهامش الاحياء -دار المعرفة .
٢١- نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار من احاديث سيد الاخيار للشيخ محمد بن علي الشوكاني - الطبعة الاخيرة لمصطفى الحلبي بمصر.

فهرست الكتاب

١- تمهيد في الايمان باليوم الأخر	ص ٤
٢- الموت وبقاء الروح	ص ٩
٣- الساعة (القيامة)	ص ١٩
٤- البعث والنشور	ص ٢٧
٥- الحشر ، الموقف	ص ٣٣
٦- الحساب والمساءلة	ص ٣٥
٧- الميزان	ص ٣٩
٨- الصراط	ص ٤٣
٩- الحوض	ص ٤٥
١٠- الجنة والنار وأوصافهما وأوصاف اهلها	ص ٤٨
١١- التوبة	ص ٥٥
١٢- مستلزمات النبوة	ص ٦٠
١٣- النبوة الخاصة	ص ٧٦
١٤- مراجع الكتاب	ص ٩٨
١٥- مصادر البحث	ص ١٠٠

انّ مع الذین اتقوا
والذین هم محسنون

رقم الايداع (٣٥٨) لسنة ٢٠٠٠ م
الكمية (١٥٠٠) نسخة

١٤٢٦هـ - ٢٧٠٥ كوردي - ٢٠٠٥ م